ISSN: 2706-6495

وقفة مع خليل عبد الكريم في كتابه (شدو الربابة): قرابة عثمان بن عفان أنموذجاً

A reflection with Khalil Abdul Karim in his book (Shado Al-Rababa): The kinship of Uthman ibn Affan as an example

إعداد الباحث/ خالد بن عبدالله السعيد

طالب دراسات عليا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية

Email: Khalidaltamimi2030@gmail.com

الملخص:

إن لدراسة التاريخ الإسلامي فوائد جمة؛ وإحدى هذه الفوائد: تعزيز الشعور الديني عند المسلمين، وتمتين أواصر العلاقة بينهم، وتبصيرهم بمكامن القوة ومواطن الضعف، وتعريفهم بسير العظماء للاقتداء بهم والسير على خطاهم. ونظراً إلى أهمية التاريخ في حياة المسلمين، وما يحمله بين جوانبه من عوامل القوة ومفاتيح التفوق؛ فقد عمل أعداء هذا الدين على النيل من التاريخ الإسلامي بكل وسيلة ممكنة؛ لقطع الصلة بين الماضي والحاضر، وطمس ذاكرة الأمة، وتشويه صورة رسولها وخلفائها وأمرائها وقادتها وأئمتها وعلمائها. ومما يُؤسف له أن بعض المحسوبين على المسلمين، من غير المتخصصين بالتاريخ، من على شاكلة خليل عبدالكريم، قد أخذوا يبثون سمومهم بمختلف الطرق والأساليب التقليدية والحديثة دون أن يجدوا من ينبري لهم بسلاح الكلمة إلا نفر قليل من أهل الدين والعلم. لذا؛ جاءت هذه الدراسة لتتولى الرد على خليل الذي كرّس جهده، ولم يدّخر وسعه، في التشكيك في نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، والطعن في سيرة أصحابه رضي الله عنه. ونظراً إلى أن الرد على ما جاء في كتبه التي زادت على العشرة يلزمه تحبير عدة مجلدات؛ فقد سلّطت الدراسة الضوء على ما كتبه خليل في الجزء الثاني من كتابه (شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة) بحق أقارب عثمان بن عفان، من أمثال: معاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم؛ للكشف عن أساليب الكاتب في العبث بالنصوص، وحرفها من مقاصدها، والتلبيس على القارئ من جهة، وإسقاط الشبهات، ورد الأكذوبات التي أفتراها أصحاب الأهواء والبدع من رواة الأخبار على قرابة عثمان وصحابة رسول الله من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: خليل عبد الكريم، شدو الربابة، الصحابة، التاريخ

ISSN: 2706-6495

A reflection with Khalil Abdul Karim in his book (Shado Al-Rababa): The kinship of Uthman ibn Affan as an example

Abstract:

The study of Islamic history has many benefits. One of these benefits: enhancing the religious feeling of Muslims, strengthening the bonds of relationship between them, enlightening them of strengths and weaknesses, and introducing them to the path of the greats so that they can follow in their footsteps. In view of the importance of history in the lives of Muslims, and the factors of strength and keys to superiority it carries among its aspects; the enemies of this religion worked to undermine the history of the nation by every possible means. It is regrettable that some of those affiliated with Muslims, who are not specialists in history, such as Khalil Abd al-Karim, have begun to spread their poison in various traditional and modern ways and methods without finding anyone to inform them with the weapon of the word, except for a few people of religion and knowledge. So; this study came to respond to Khalil, who devoted his efforts and spared no effort in questioning the prophethood of the Messenger, may God bless him and grant him peace, and challenging the biography of his companions, may God be pleased with him. Given that the response to what came in his books, which exceeded ten, requires volumes; the study sheds light on what Khalil Abd al-Karim wrote in the second part of his book (Shaddu Al-Rababa) against the relatives of Othman bin Affan, such as: Muawiyah bin Abi Sufyan and Marwan bin Al-Hakam. To reveal the writer's methods of tampering with the texts, distorting them from their intentions, deceiving the reader on the one hand, dropping suspicions, and refuting the lies fabricated by the whims and heresies of the news narrators on the other hand.

Keywords: Khalil Abd al-Karim, Shaddu Al-Rababa, The Companions, History

ISSN: 2706-6495

1. المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً، وبعد:

لا يخفى على أحد ما يتعرض إليه تاريخ الأمة الإسلامية من حملات مسعورة تجري على قدم وساق منذ القدم وحتى زمننا الحاضر؛ لتسويد صفحات التاريخ، وتخريب معالمه، وتزوير حوادثه، وشيطنة أعلامه. إن استهداف التاريخ الإسلامي اضطلع به فريقان: أحدهما من الخارج، وأولئك هم المستشرقون ممن أعمى التعصب أكثرهم - ولا نقول كلهم تحرياً للصدق والأمانة -، وطمس الهوى على بصائرهم، فتمادوا في محاولاتهم للدس والتشويه المتعمد دون احترام لعقل المتلقي أو التزام بالموضوعية والأمانة العلمية. والآخر من الداخل، وهؤلاء تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، قد فرّقهم أهوائهم، ما بين: شيوعي، علماني، ليبرالي، ملحد، شيعي، صوفي، وما شاكل ذلك، وجمعتهم العداوة لهذا الدين والحقد على تاريخ الأمة والنفور منه.

إن التنبيه على دور هؤلاء مجتمعين في تشويه التاريخ الإسلامي لا يُقصد به عدم المساس بتاريخ الأمة وتراثها؛ إذ أن التاريخ ليس هو الإسلام، وما من شيء فوق مستوى النقد خلا القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، ولكن ما ينبغي الحذر منه أن بث الشبهات، وتتبع العثرات، وتضخيم الهفوات، وحجب الحسنات، قد يضعف ثقة المسلم بماضيه، ويشككه به، وهذا ما قد يتسبب في نهاية المطاف بزعزعة إيمانه والتنكر لدينه، وبخاصة إذا كان المسلم لا يملك ما يكفي من المعرفة بالتاريخ، ولا الوعي بأساليب هؤلاء المخربين وحقيقة أغراضهم.

ويعد الراحل خليل عبدالكريم واحداً من أبرز الأمثلة على أولئك الذين استفرغوا جهدهم، وبذلوا ما في وسعهم، لنشر المفتريات، وإشاعة الشبهات، حول تاريخ النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، من خلال كتبه ومقالاته التي عكف على تأليفها ونشرها في عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن المنصرم؛ بحجة تفكيك الخطاب الديني للجماعات المتطرفة التي ازداد شططها في تلك المدة. ومما يُؤسف له أن كتابات خليل، وأمثاله من الكُتّاب، وجدت قبولاً عند بعض عوام الناس ممن لا بصيرة لهم بالتاريخ، ولا دراية لهم بحقيقة هؤلاء القوم وخبث نياتهم، ولذا؛ فقد جاءت هذه الدراسة للتحذير من مثل تلك الكتب، وتفنيد بعض ما جاء فيها من الفِرى والكذب. ولا ينبغي أن يُفهم من هذا أننا ندعو إلى الحجر على حرية القارئ، فهذا مما لا يخطر على البال، ولكننا ندعوه إلى ضرورة التحلي بنزعة الشك، وبخاصة حين يتعلق الأمر بموقفنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغُرّ الكرام.

ومهما يكم من أمر، فإن هذه الدراسة لا ترمي إلى استجلاء ملامح فكر خليل؛ فقد سبقنا إلى ذلك مشكوراً الدكتور إبراهيم عوض الذي صنّفَ كتاباً سمّاه (اليسار الإسلامي وتطاولاته على الله والرسول والصحابة)؛ حسر فيه القناع عن وجه خليل عبدالكريم، وفضح حقيقة أهدافه، وطبيعة منهجه، وطرق تدليسه، وتناقضاته، وانتقائيته في التعامل مع النصوص التاريخية وتوظيفها فيما يوافق مآربه، وهذا يخالف ما ذهب إليه البعض من أن خليل عبدالكريم كان يقود مشروعاً تنويرياً عقلانياً؛ لتجديد الفكر الديني من خلال تخليص التاريخ مما علق به من الأوهام والأوشاب.

1.1. أهداف الدراسة:

تتلخص أهداف هذه الدراسة في أمرين اثنين:

- أولاً: الكشف بالأدلة النقلية والعقلية عن بعض من أساليب خليل عبدالكريم في استغفال القارئ وتضليله والتمويه عليه، عبر تغليب روايات ليس لها نصيب من التحقيق والعلم اليقيني، ولي أعناق بعض النصوص إلى ما يعتقده ويوافق هواه، وصرف النظر عن تلك التي لا تخدم أهدافه المضمرة.
- ثانياً: تسليط بعض الأضواء على ما تكلم به خليل بسوء على أقارب عثمان بن عفان – رضي الله عنه – كما جاء في الجزء الثاني من كتابه (شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة)؛ حتى ينجلي الحق المستور، ويُرد الباطل المشهور، وهو ما يعد امتداداً لسلسلة من الدراسات التي نهض بأعبائها الباحث خلال السنوات القليلة الماضية؛ لدحض الشبهات والرد على المفتريات التي أحاطت بتاريخ بني أمية.

2.1. منهج الدراسة:

نظراً إلى طبيعة الدراسة وأهدافها، فإنها استندت في معظم جوانبها إلى المنهج التحليلي، في تناولها نخبة من النصوص الواردة في الجزء الثاني من كتابه (شدو الربابة)، وذلك من خلال تتبع سلسلة الرواة في بعض الأحيان لمعرفة قوة أو ضعف أسانيدها، بالإضافة إلى نقد متونها، وذلك عن طريق عرض الرواية على مقتضى العقل والمنطق، أو بمقارنتها بنصوص مشابهة لها عند المؤرخين.

3.1. خطة الدراسة:

فيما يختص بمحتويات الدراسة؛ فقد قام الباحث في البداية بإعطاء نبذة مختصرة عن حياة خليل عبدالكريم، ثم بيان بأبرز الملاحظات العامة وأهم المآخذ على المؤلف وعلى كتابه المذكور في جزئه الثاني، ثم نقد وتحليل ما كتبه المؤلف عن بعض قرابة عثمان، مثل: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، ومروان بن الحكم بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب – رضي الله عنهم أجمعين -، هذا بالإضافة إلى مقدمة مختصرة، وخاتمة بأبرز النتائج وأهم التوصيات، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

أولاً: التعريف بخليل عبدالكريم:

خليل عبدالكريم: محامي مصري، كاتب يساري، إسلامي المظهر، ماركسي المخبر. كان يُلقب – بسبب هذا المزيج المتنافر - ب "الشيخ الأحمر"، و"مفتي الماركسية"، و"الشيوعي الملتحي". له ما يربو على عشرة كتب صنّفها بعد أن جاوز الخمسين من عمره، لعل أشهرها: (الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية)، و(قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية)، و(الأسس الفكرية لليسار الإسلامي)، و(مجتمع يثرب: العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين النبوي والخليفي)، و(شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة)، بالإضافة إلى مقالات كثيرة دبجها في صحف ومجلات يسارية الهوى. ومما يجدر ذكره، أن خليل عبدالكريم وُلد في مدينة أسوان المصرية سنة 1930م، واخترمته المنية سنة 2002م بالقاهرة، وحُمل إلى مسقط رأسه ليُدفن فيها.

إن الناظر في كتب خليل عبدالكريم، أو بعضها، لن يعجزه – إن كان من ذوي القلوب السليمة والعقول البصيرة – أن يكتشف دون عناء عما في نفس الرجل من شك في الله عز وجل وملائكته ورسله، وطعن في الإسلام، وإنكار لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبغض لصحابته الكرام رضوان الله عليهم، واحتقار للعرب واستخفاف بهم، وغيرها من أمور شنيعة وردت في مصنّفاته، إما بصريح العبارة، وإما بطريق الإشارة، والأمثلة على ذلك لا يأخذها عد، ولا يحيط بها وصف.

إن أكثر ما يستفز المرء ذو الفطرة القويمة أن يجد خليل عبدالكريم - الذي لا يكاد يُذكر اسمه إلا ويأتي مسبوقاً بكلمة "الشيخ" – وهو يسخر من الاعتقاد بوجود إله يحكم الكون ويضبط قوانينه؛ واصفاً الإيمان به عز وجل بالثقافة الثيولوجية القروسطية، ولا عجب في ذلك؛ فهو ماركسي وإن تمشيخ، وهاك فاسمع ما يقول: "... **كانت الثقافة المهيمنة والمسيطرة في الفترة القروسطية هي الثقافة الثيولوجية المتمحورة على الغيبيات والعوالم اللامرئية والكائنات غير المنظورة وضرورة التبعية المطلقة لها وتسليم كافة المقاليد إليها ووضعها بين يديها وحتمية الانقياد لأوامرها الصوارم**... [(1)]". تلك كانت الحال في الأزمنة الغابرة، وأما الحال في زمننا هذا، فيقول خليل: "**وأما حالياً فقد تغير الفضاء المعرفي تماماً وتبدل الأفق الثقافي بالكلية وتقهقرت المعارف الثيولوجية وكادت أن تختفي منذ عصر التنوير وحلت محلها سيادة العقل الذي لا يعترف بسلطة سواه**[(2)]"، فتأمل!

ومن أنكر وجود الله، فلا تثريب عليه لو أنكر الوحي، ومن أنكر الوحي، فقد أسقط النبوة. إن رسول الله صلى الله عليه وسلم - عند خليل عبدالكريم - لا يعدو أن يكون داهية من دواهي الدهر، رجلاً فطناً ذكياً، حاذقاً ألمعياً، عالي الهمة، شديد الطموح، وافر العقل، حسن السياسة[(3)]. وأما الدين الذي سلخ سني عمره في نشره بين الناس فلم يكن سوى حيلة ذكية تفتق عنها ذهن رسول الله صلى الله عليه وسلم - حاشاه – ليجمع العرب على كلمة واحدة، وتحت راية واحدة؛ حتى يُقيم بهم دولة قريش التي طالما حلم بها هو وأجداد[(4)]! إذن، ليس في الأمر وحي، أو نبوة، أو جنة، أو نار، وإنما تخطيط عميق وتنفيذ دقيق، نسأل الله السلامة ونعوذ به من الزلل والزيغ.

ولم يكتفِ خليل عبدالكريم بإنكار الله، وجحد النبوة، بل طفق يلطخ سمعة رجال المدينة المنورة ونسائها، ويرميهم بأحط الصفات، وبأقذع العبارات؛ واصفاً الصحابة والصحابيات - حاشاهم عن فِرى الأفاكين - بالشبق الجنسي وبكثرة الوقوع في الزنا. وليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل نجده يلمز رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرف خفي بأنه كان -نستغفر الله من قوله - يُسهل أمره، ويبتدع لأصحابه قرآناً في سبيل ذلك، سبحانك هذا بهتان عظيم[(5)]! ولقد أحسن الدكتور إبراهيم عوض - المشار إليه في مقدمة الدراسة - في فضح تلك الترهات والمفتريات، المراد بها التلبيس على المسلمين، وتدنيس مجتمع النبوة، والطعن في خُلق أشرف المرسلين وأصحابه الغر الميامين[(6)].

ومما يُؤسف له أن أعداء الدين من متعصبي النصارى، وغلاة الروافض، وعلماني الأمة وليبراليها، تلقوا كتب خليل عبدالكريم بالقبول والتصديق، فبنوا عليها، ونوّهوا بها، واستندوا إليها في ثلب الإسلام، والتجريح بالرسول صلى الله عليه وسلم، والتعريض بأصحابه، والتشكيك في تاريخ الأمة الإسلامية المجيد.

(1) عبدالكريم، خليل، **الأسس الفكرية لليسار الإسلامي** (القاهرة: حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، 1995م)، 28.
(2) عبدالكريم، **الأسس الفكرية**، 29.
(3) انظر مثلاً: عبدالكريم، خليل، **شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة: السفر الأول محمد والصحابة** (القاهرة: سينا للنشر، 1997م)،1: 49 - 54
(4) عبدالكريم، خليل، **قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية**، ط 2 (القاهرة – بيروت: سينا للنشر – الانتشار العربي، 1997م)، 137 وما بعدها.
(5) عبدالكريم، خليل، **مجتمع يثرب: العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين النبوي والخليفي**، ط 2 (القاهرة – بيروت: سينا للنشر – الانتشار العربي، 1997م)، 15 وما بعدها.
(6) عوض، إبراهيم، **اليسار الإسلامي وتطاولاته على الله والرسول الصحابة** (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 1420هـ/2000م)، 71 وما بعدها.

ISSN: 2706-6495

ولذا؛ وجدنا المدعو القمص زكريا بطرس[1] يستعين بكتب خليل في محاربته للإسلام؛ بدعوى أنها شهادة شيخ من شيوخ الأزهر، وتلك لعمري كذبة صلعاء أراد أن يضحك بها على السذج والأغبياء[2]. وبالمثل، فقد طار المعمم الشيعي كمال الحيدري فرحاً وهو يلوح لمريديه بكتاب (شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة) الذي حشاه خليل عبدالكريم بمغالطات وافتراءات تاريخية، ولا يخفى على القارئ الكريم ما تغلي به مراجل صدور غلاة أولئك القوم من حقد على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]. ولعل أبلغ وصف يصور حال خليل عبدالكريم، وغيره ممن روّج لضلالاته وشبهاته؛ ظناً أنهم بذلك قد نالوا من عقيدة التوحيد وأمة القرآن ورموزها التاريخية، ما قاله الشاعر:

كناطحِ صخرة يوماً ليوهِنَها فلم يَضِرْه وأوهى قرنَه الوعِل

ثانياً: ملاحظات عامة على كتاب (شدو الربابة):

يقع كتاب (شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة) الصادر عن دار سينا للنشر المصرية، في طبعته الأولى، لسنة 1997م، في ثلاثة أجزاء، أو أسفار كما سمّاها خليل عبدالكريم: السفر الأول: محمد والصحابة، والسفر الثاني: الصحابة والصحابة، والسفر الثالث: الصحابة والمجتمع. ويعد السفر الثاني، أي: الصحابة والصحابة الأضخم بين الأسفار الثلاثة. ولقد بوّبَ المُصنّف هذا السفر إلى ثلاثة أبواب، وهي على النحو التالي: الباب الأول: مجتمع الصحابة، الباب الثاني: الصحابة والمال، والباب الثالث: الصحابة والنكاح، وكل باب من تلك الأبواب مُقسم بدوره إلى فصول عدة.

يقول خليل عبدالكريم في مقدمة سفره الثاني: "**إن تحليل سلوكيات الصحاب والصاحبات تحليلاً موضوعياً صارماً لا مجال فيه للعواطف الفجة أو المشاعر المسبقة سيضع في دائرة الضوء تلك التجربة الفريدة في حجمها الصحيح بدون تهوين أو تهويل مما يمكننا من الحكم العادل الدقيق على صورتها المصطنعة والمزوقة التي يرسمها لها البعض ونحن على يقين أنه لم يمعن النظر فيها لا في كل نواحيها بل ولا حتى في بعضها إنما خطف خبراً من هنا وآخر من هناك وعممه ووسع دائرته وغطّى به كل المساحة**[4]".

إن من حق خليل وغيره من الباحثين، بل من واجبهم كلهم، أن يتصفوا بالنزاهة، ويتحلوا بالموضوعية، ويتحرروا من أغلال الهوى؛ لأن الموضوعية العلمية ضرورة لا غنى عنها في كل علم، مع الإقرار بأن بلوغ الموضوعية المطلقة والتجرد التام في العلوم الاجتماعية - وعلى رأسها التاريخ – يكاد يكون أمراً عسيراً. والسؤال هنا: هل التزم خليل عبدالكريم بالموضوعية الحقة كما زعم في مقدمته؟ إن تصفح عناوين أبواب الكتاب وفصوله، أو حتى قراءة بضع صفحات منه، تكفي للقول – وذلك بحسب رأي الباحث – بأن المسافة بين المؤلف والموضوعية مثل المسافة بين المشرق والمغرب؛

(1) القمص زكريا بطرس: قبطي، أرثوذكسي، مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية، مشهور ببغضه الشديد للإسلام، وله برامج تلفزيونية متخصصة في التطاول على عقائد المسلمين، وبث الشبه والشكوك في القرآن المجيد، والطعن في سيرة الرسول الكريم، وتزوير التاريخ الإسلامي ومسخ معالمه.

(2) القمص زكريا بطرس، معرفة الحق، الشيخ خليل عبدالكريم
https://www.youtube.com/playlist?list=PLHs1xbD_3UxTmYLTlu_t-fL7IohnQvSH5

(3) اقرؤوا كتاب شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، كمال الحيدري https://www.youtube.com/watch?v=srgJdffyr-E&t=7s

(4) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 13.

ISSN: 2706-6495

فالمؤلف كان ينقب عما في بطون كتب التاريخ من المثالب ليبرزها، ومن العيوب ليضخمها، ولا يذكر في المقابل للصحابة - عبر صفحات كتابه التي جاوزت الأربعمائة ورقة – خصلة حسنة أو منقبة حسنة. ومن العجب أن يعترض خليل عبدالكريم على أولئك الكُتّاب -الغابرين والمعاصرين - الذين نسجوا من خيوط الأخبار المتناثرة "صورة مصطنعة ومزوقة" - كما كان يقول – وهو الذي كان يفعل ذلك في كتابه هذا وغيره من الكتب، كما سيأتي معنا في موضعه إن شاء الله تعالى.

لا تنهَ عن خُلُق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

ومن جملة المآخذ الكثيرة على خليل عبدالكريم، التي قد تبدو للقارئ مسألة شكلية، إلا أنها تشي بما يجول في صدر خليل عبدالكريم؛ أنه كان في معظم الأحيان يذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجرداً، كأن يقول: **"عقب وفاة محمد"**[1]، **"وكان أتباع محمد"**[2]، **"لم يلبس محمد"**[3]؛ مما يشير إلى عدم تعزيزه وتوقيره لنبي الأمة، وعدم احترامه وإكرامه لمشاعر المسلمين، يقول الله تعالى: {**لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**[4]}. ومن كانت تلك حاله مع خير البشر، فلا تنتظر منه أن يترضى عن أحد من صحابته خلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ إذ كان كثيراً ما يدعوه بكنيته: أبي الحسن، لا حباً في علي، ولكن حباً في الشيعة الذين يجتمعون معه وبقية الماركسيين على الطعن في الإسلام والصحب الكرام[5]! ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمّى دار هجرته بالمدينة، ونهى المسلمين عن دعوتها بيثرب – اسمها في الجاهلية -؛ لأن يثرب مأخوذ من الثرب، أي: الفساد، والتثريب: المؤاخذة بالذنب[6]، إلا أن خليل عبدالكريم - في محادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم – غالباً ما كان يدعوها باسمها القديم، أي: يثرب!

ولو اكتفى المؤلف بعدم الترضي على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهان الأمر، ولكنه بثَّ في تضاعيف كتابه تصريحات بذيئة وتلميحات خبيثة؛ يروم بها الانتقاص من عدالتهم، والتشكيك في دينهم، وتصويرهم أنهم طلاّب دنيا، لا يشبعون من احتجان الأموال، ولا يرتوون من افتراش النسوان، ولا يتورعون عن سفك دماء بعضهم؛ مستنداً في ذلك إلى روايات مقدوح في سندها ومضطربة في متنها، والشواهد على ذلك كثيرة جداً. فعلى سبيل المثال، زعم المؤلف أن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح – رضي الله عنهم – لما أحسوا بقرب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تواطأوا فيما بينهم - وهم من أدنى بطون قريش شرفاً - على جعل الخلافة في أحدهم، وحرمان بني هاشم وبني أمية -أعظم بطون قريش شرقاً – منها، في قصة تافهة لا تستحق الوقوف عندها[7]. وفكّر وقدر خليل، ثم فكرّ وقدر، فلمع في رأسه سبب عزل الخليفة عمر بن الخطاب لخالد بن الوليد – رضي الله عنهما – وهو أن الخليفة كان يخشى في قرارة نفسه أن ينحدر ابن الوليد بجيش الفتح من الشام إلى

(1) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 68
(2) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 111
(3) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 133
(4) سورة النور، الآية 63
(5) إن مما يشير إلى وجود تجاذب بين الطرفين قيام خليل عبدالكريم في أواخر سني حياته بتأليف كتاب بعنوان (إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)؛ دافع فيه بشدة عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه -، وهاجم فيه بشدة بقية أصحاب رسول الله على الله عليه وسلم، وعلى رأسهم أبي بكر وعمر وعائشة والزبير وطلحة – رضي الله عنهم أجمعين -؛ متهماً إياهم بالتواطؤ على أبي الحسن وغمطه حقه في الخلافة، إلى حد تجعلك حماسته في نصرة علي بن أبي طالب، وتطاوله على بقية الصحابة بالسب والشتم تتساءل إن كان خليل قد تحول من الشيوعية إلى التشيع!
(6) انظر مثلاً: ابن منظور، أبا الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م)، **لسان العرب** (القاهرة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ت)، 1: 228.
(7) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 177.

المدينة لينتزع الخلافة منه[1]! وإلى جانب مثل تلك القراءات المضحكة والتفسيرات السقيمة؛ فقد استعمل المؤلف في حديثه عن بعض الصحابة -رضوان الله عليهم - ألفاظاً نابية تنم عن سوء أدب، كأن يصف الحكم بن أبي العاص بالوزغة[2]، أو ابنه مروان بن الحكم بابن الوزغة أو مضروب القفا[3]، أو معاوية بن أبي سفيان بالطليق ابن هند آكلة الأكباد[4]، نسأل الله عز وجل أن يكتب لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثواب العظيم على ما طالهم في الدنيا من السب والشتم على يد خليل وأضرابه ممن شرقوا بهذا الدين، أو كما قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: **"ما أرى الناس ابتلوا بشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا ليزيدهم الله بذلك ثواباً عند انقطاع أعمالهم**[5]".

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب خليل عبدالكريم من إكثار القول بأن ما خطّه يراعه من الحقائق الصادمة لم يكن من عنده، بل من عند أصحاب الكتب العوالي والمصادر التي تلقتها الأمة بالقبول والتجلة؛ يقصد بذلك أن يصل بالقارئ إلى طريق مسدود فلا يملك إلا أن يذعن له ويقبل ما جاء به. ولو كان للقارئ صبر على قراءة المصادر وجلد على احتمال المشقة، لوجد أن خليل عبدالكريم قد مرن على العبث بالنصوص، وحرفها عن مقاصدها، وانتزاعها من سياقاتها؛ حتى تتماشى مع أهدافه، وتتفق مع أفكاره. علاوة على ما تقدم، فإن خليل يحسب أن كتب التاريخ لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وهذا غير صحيح بالمرة. فهذا أبو جعفر بن جرير الطبري، إمام المؤرخين، يقول في مقدمة كتابه المشهور (تاريخ الأمم والملوك) المعروف بتاريخ الطبري: **"فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدّي إلينا**[6]". ولا غرو أن يقول الطبري هذا وقد دارت جلّ رواياته على رجال مجروحين عند عامة العلماء، من أمثال: أبي مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن محمد الكلبي؛ ومحمد بن عمر الواقدي؛ لما اشتهر عنهم من الكذب، والتشيع، والتعصب، وقلب الأحاديث، وغيرها من الأمور[7]، وما ينطبق على تاريخ الطبري ينطبق على غيره من كتب التواريخ دون استثناء. وإلى جانب هذا وذاك، فالمؤلف كان كثير الركون إلى مصادر عُرف عن مؤلفيها تشيعهم، كأحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي صاحب (تاريخ اليعقوبي)، وأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي صاحب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و(التنبيه والإشراف)، وهي مسألة إن كان لم يعلمها فهي مصيبة، وإن كان علمها وسكت عنها فهي مصيبة أعظم.

---

(1) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 46.
(2) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 253.
(3) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 267.
(4) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 313.
(5) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/1176م)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر العمروي (بيروت: دار الفكر، 1415هـ/1995م)، ترجمة رقم (6071)، 51: 317.
(6) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت 310هـ/923م)، **تاريخ الأمم والملوك**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي (عمّان – الرياض: بيت الأفكار الدولية، د. ت)، 9.
(7) انظر مثلاً: ابن الجوزي، جمال الدين أبا الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/1201م)، **الضعفاء والمتروكين**، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي (بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ)، ترجمة رقم (2813)، 3: 28، ترجمة رقم (3602)، 3: 176، ترجمة رقم (3137)، 3: 87؛ الذهبي، شمس الدين أبا عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م)، **سير أعلام النبلاء**، خرّج أحاديثه وقدّم له واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي (القاهرة: دار الحديث، 1427هـ/2006م)، ترجمة رقم (1095)، 7: 10؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله (ت 764هـ/1363م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/2000م)، ترجمة رقم (338)، 27: 212؛ ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1449م)، **لسان الميزان**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة (بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1423هـ/2002م)، ترجمة رقم (6248) 6: 430 – 431، ترجمة رقم (8268)، 8: 338.

وكتاب (شدو الربابة)، كسائر الكتب الأخرى، طافح ببغض شديد لعرب شبه الجزيرة. فالعرب عند خليل عبدالكريم هم: بدو، أجلاف، حفاة، رعاة، همج، رعاع، جهلة، متخلفون، وإلى ما ذلك من النعوت التحقيرية، إلى حد يجعلك تتساءل في أسى وحيرة: هل هذا المؤلف عربي حقاً؟! عندما تلمس عنده كل هذا القدر من الكره لهم والاستعلاء عليهم، تشعر وكأنك أمام شعوبية[1] من نوع آخر، عمادها هذه المرة اختلاف الأمصار، لا اختلاف الأعراق! وعلى ما يبدو للباحث، فإن منبع حقد خليل على العرب واستخفافه بهم مرده أن الإسلام قد ظهر فيهم، فحملوه على أعاتقهم لنشره في مشارق الأرض وغربها. وعلى ذكر نشر العرب رايات الإسلام في كل مكان، فإني لم أرَ كاتباً يذكر الفتوحات الإسلامية في ومن الخلافة الراشدة والأموية بسوء مثل صاحبنا هذا. فما من مرة جاء ذكر الفتوحات الإسلامية عند المؤلف إلا ووجدناه يتباكى على الحضارات الراقية في مصر والشام والعراق وفارس التي ثلَّ عروشها "الجفاة الحفاة"، وجعلوا أعزة أهلها أذلة. يقول المؤلف في معرض حديثه عن ثروات البلاد المغلوبة التي يزعم أن سيف الله المسلول خالد بن الوليد - رضي الله عنه – وجنوده نهبوها في العراق: "**وهكذا استمرت رحلة القتل والسبي والتحريق والهدم حتى سطح الأرض واستصفاء الأموال بأنواعها حتى لم يبق أمامها شيء!**[2]"، ولا شك أن هذه فرية لا تستحق من يقف عندها ويرد عليها. ولما اعترض على ألفاظ جارحة جاءت على لسان مروان بن الحكم - رضي الله عنه – قال ولواعج الحسرة تعصر قلبه على البلاد التي داستها سنابك خيول العرب -كما يقول -: "**ومما يُؤسف له أن المقادير شاءت أن يحكم هؤلاء البدو دولاً ذات حضارات عريقة مثل مصر والشام والعراق وفارس**[3]"، والمؤلف لا يمل من تكرار استعمال كلمة "البدو"، مع العلم أن أهل شبه الجزيرة كانوا أخلاطاً من حاضرة وبادية، وهذا مثال على قبيح جهالته. ثم أنه يستعمل هذه الكلمة كما لو أنها معرّة لهم، وانتقاصاً منهم، وهي ليست كلك؛ فالبداوة منبع الكرم، والكرامة، والفروسية، والفصاحة، والنجدة، والشهامة، وهي قيم قد لا تجد نظيراً لها عند أهل تلك الحضارات التي ذرف عليها خليل الدمع السخين!

وعلى جري عادة الماركسيين، فخليل عبدالكريم يزن الأمور بميزان المادة؛ لأنها عندهم أساس الحياة في حركتها وسكونها، ووسيلتها وغايتها، وهذا ما يطلقون عليه: التفسير المادي للتاريخ، ومن ثم فلا قيمة عندهم للدين والأخلاق، وهذا منهج خاطئ لا يتيح للمرء أن ينظر إلى الصورة من كافة أبعادها. إن الناظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه رضوان الله عليهم، لن يجهد نفسه في العثور على العشرات، بل المئات من المواقف والأحداث، التي تكفي لنقض رأي هؤلاء القوم وهدم نظريتهم. لنتأمل مثلاً ما كتبه خليل في كتابه (مجتمع يثرب): "**حرارة الطقس في منطقة الحجاز وطلاقته واتصافه بالجفاف بالإضافة إلى البداوة النسبية التي تميز بها ذلك المجتمع وبعده عن الحضارة بالقياس بغيره من المجتمعات كلها جعلت الشغل الشاغل لأفراده هو هاجس التماس بالجنس الآخر**[4]". فكما ترى، فالمؤلف يزعم أن أهل المدينة المنورة، في زمن النبوة؛ نتيجة لحرارة مناخهم، وجشوبة عيشهم، وقلة نصيبهم من الحضارة،

(1) الشعوبية: لفظة مشتقة من شعب، وجمعها شعوب، وهي حركة ثقافية تقوم على الحط من قدر العرب وتفضيل العجم عليهم، ولقد ظهرت بوادرها في العصر الأموي، ثم عظمت شوكتها في العصر العباسي. ولقد بلغ التعصب بالشعوبيين - وأكثرهم من الفرس - إلى كراهية العرب، وكراهية كل ما جاءوا به حتى الدين الإسلامي؛ لذا فقد كانت الشعوبية هي الباب الذي نفذت منه الزندقة والإلحاد. انظر مثلاً: السلامي، شافية حداد، **نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة من الفتح إلى القرن الثالث هـ/ التاسع م** (بيروت – صفاقس: الانتشار العربي – دار محمد علي، 2009م)، 266 – 281؛ العامري، أسعد بن حمود بن خلفان، **الزندقة في المشرق الإسلامي: مفهومها، نشأتها، تطورها وأثرها (حتى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)** (السيب: مكتبة الضامري، 1437هـ/2016م)، 71 – 80.

(2) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 193.

(3) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 267.

(4) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 351.

فإن رجالها لم يجدوا من وسيلة لتصريف طاقاتهم سوى امتطاء النساء، وهذا كلام ركيك وتفسير عجيب! فمتى كانت تلك الظروف المادية سبباً في انكباب الرجال على مجامعة النساء؟! ألم يكن أولئك الرجال يجالسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأخذوا منه ما ينفعهم في دينهم ودنياهم؟ ألم تكن لهم غزوات وسرايا يخرجون فيها؟ ألم تكن لهم حرف ومهن يتكسّبون بها ويعتاشون منها؟ بالإضافة إلى ذلك، فخليل عبدالكريم يظن أن العلاقة بين الرجل والمرأة في عهد النبوة قائمة على الجنس، وليس للحب بين الطرفين أي مكان، إلا إذا كان يتوهم أن الحب - الذي لا يعرف الفرق بين مجتمع متحضر أو مجتمع متخلف - لا ينبت عند أولئك العرب الأجلاف الغلاظ في أراضيهم القاحلة! ولا شك أن ربط الظروف البيئية بالجنس سرعان ما يتهاوى إذا ما تذكرنا أن المجتمعات الغربية - الموصوفة ببرودة أجوائها وتفوقها الحضاري – كانت ومازالت تلهث وراء الجنس، وتتنوع في ممارساته، وتتفنن في وسائله، وهي أمور لا تخفى على أحد، بمن فيهم خليل عبدالكريم نفسه!

ثالثاً: ملاحظات خاصة على كتاب (شدو الربابة):

كما وردت الإشارة، فإن الدراسة ستلقي بعض الأضواء الكاشفة على ما تحدث به خليل عبدالكريم في كتابه عن بعض أقارب عثمان بن عفان – رضي الله عنه -، وهم على النحو التالي: الحكم بن أبي العاص بن أمية، وعبدالله بن سعد بن أبي سرح، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، ومروان بن الحكم بن أبي العاص، ومعاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب.

- **الحكم بن أبي العاص بن أمية:**

لنقرأ بعض ما كتبه خليل عبدالكريم في أبي مروان، الحكم بن أبي العاص - عم عثمان بن عفان رضي الله عنه - دون تصرف منا: **"أما الحكم بن أبي العاص بن أمية عم عثمان فقد كان (عاراً في الإسلام وكان مؤذياً لرسول الله (ص) بمكة يشتمه ويسمعه ما يكره فلما كان فتح مكة أظهر الإسلام خوفاً من القتل فلم يحسن إسلامه وكان مغموصاً (مطعوناً) عليه في دينه. ولما قدم المدينة كان يؤذي محمداً ويتجسس عليه في حجراته وهو بين نسوانه فلعنه ولم يجد بداً من طرده من المدينة فظل في منفاه بقية حياة محمد وخلافة أبي بكر وعمر (فلما استخلف عثمان بن عفان) فرده وولده فكان ذلك مما أنكر عليه**[(1)]".

إن أكثر ما يدعو للتبسم عند قراءة هذه السطور تلك الغضبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم التي نلمسها عند خليل عبدالكريم، وهو الذي - كما تقدم معنا - لا يقرّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة، وتلك مسألة يدركها تمام الإدراك محبوه وشانؤوه على السواء. كل ما في الأمر أن خليل اهتبل هذه الفرصة؛ حتى يبسط لسانه في حق الحكم بن أبي العاص دون رادع، ويغمز على عثمان بن عفان - رضي الله عنه – في أنه خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما ما قاله خليل من أن النبي صلى الله عليه وسلم نفاه عن المدينة ففيه شك كبير، واختلاف كثير؛ فالإخباريون لا يتفقون في حقيقة طرد الحكم، ولا في سببه طرده إن صح ذلك، ولا في الجهة التي نُفيَ إليها. ولقد شطح الخيال ببعضهم إلى الزعم بأن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه – نفاه إلى اليمن، وهو ما أنكره شيخ الإسلام ابن تيمية بشدة، إذ قال: **"فمن الذي نقل ذلك؟ وأين إسناده؟ ومتى ذهب هذا إلى اليمن؟ وما الموجب لنفيه إلى اليمن وقد أقرّه النبي صلى الله عليه وسلم على ما يدعونه بالطائف، وهي أقرب إلى مكة والمدينة من اليمن؟ فإذا كان الرسول أقرّه قريباً منه، فما الموجب لنفيه بعد ثبوته إلى اليمن؟**[(2)]".

(1) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 253.
(2) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم (ت 728هـ/1328م)، **منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، تحقيق: محمد رشاد سالم (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ/1986م)، 6: 253.

أما ابن سعد في (الطبقات الكبير)، وفي ترجمته للحكم بن أبي العاص؛ فقد قال أن الحكم أسلم يوم فتح مكة، ولم يزل بمكة حتى كانت خلافة عثمان بن عفان، فأذن له فدخل المدينة فمات بها[1]. ولقد فنّدَ الشيخ عثمان الخميس، في مشهد مسجل له، القصة برمتها؛ لأسباب نقلية وعقلية، لعل من أهمها: أن روايات طرد النبي صلى الله عليه وسلم للحكم لا تصح سنداً. ومما هو معلوم، أن مسلمة الفتح، أي: من أسلموا بعد فتح مكة، ظلوا بها، ولم يهاجروا إلى المدينة. ولو سلّمنا أن النبي صلى الله عليه وسلم نفاه، فما الداعي أن ينفيه عن مكة والنبي مقيم بالمدينة؟! ثم أنه لا يعقل أن يصدر من الحكم ما يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قد أسلم لتوه[2].

وأما ما ذكره خليل من أن الناس أنكرت على عثمان بن عفان – رضي الله عنه – رده إلى المدينة، فهذا من جملة كلام الغوغاء الذين خرجوا على عثمان وسفكوا دمه ظلماً. ولقد كفانا ابن حزم الظاهري وغيره من مشايخ الإسلام مؤونة الرد على هؤلاء. يقول ابن حزم في كتابه (الفصل بين الملل والأهواء والنحل): "... **ونفي رسول الله صلى الله عليه وسلم للحكم لم يكن حداً واجباً ولا شريعة على التأبيد وإنما كان عقوبة على ذنب استحق به النفي والتوبة مبسوطة فإذا تاب سقطت عنه تلك العقوبة بلا خلاف من أحد من أهل الإسلام وصارت الأرض كلها مباحة**[3]". ومثل هذا القول نجده مفصلاً عند ابن تيمية، وهذا بعض ما جاء عنده: "**فليس فيمن يجب نفيه في الشريعة من يستحق النفي الدائم، بل ما من ذنب يستحق صاحبه النفي إلا ويمكن أن يستحق بعد ذلك الإعادة إلى وطنه، فإن النفي إما مؤقت، كنفي الزاني البكر عند جمهور علماء سنة، فهذا يُعاد بعد السنة. وإما نفي مطلق، كنفي المخنَّث، فهذا يُنفى على أن يتوب**[4]". وقارع الإمام المجتهد ابن الوزير اليماني معارضي عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بالحجة تلو الحجة، وهذا بعض مما قاله لمن يتعجب كيف وصله عثمان وآواه: "... **لإنه من رحامته الماسَّة، فهو عمه صنو أبيه، وقد أمر الله بصلة الأرحام، وإن كانوا مشركين... ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره النظر إلى وحشي قاتل حمزة، ولم يستلزم ذلك أن يستحب لأولاد وحشي وزوجته، وسائر أرحامه أن يقطعوا ما أمر الله بوصله من رحامته**...[5]".

ولا يتورع خليل عبدالكريم عن الإكثار من وصف الحكم بن أبي العاص بالوزغة، وبالصعلوك؛ مستنداً في تبرير فحاشته وإسفافه إلى روايات يزعم أنها متواترة لا يعلو إليها الشك، وهذا كلام مردود عليه. فالإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) ينفي - دون تفصيل - صحة الأحاديث التي جاءت في سب الحكم بن أبي العاص[6]. وطعن من بعده الإمام ابن حجر في بعض الأحاديث التي قيلت في لعن الحكم وسبه؛ إما لضعف إسنادها، وإما لتشيع رواتها[7].

(1) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230هـ/844م)، **الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر (القاهرة: مكتبة الخانجي، 1421هـ/2001م)، ترجمة رقم (1032)، 6: 36.

(2) الشيخ عثمان الخميس قصة نفي الحكم بن أبي العاص. https://www.youtube.com/watch?v=rZReJxx48qI

(3) ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/1064م)، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، صححه وذيّله بهوامش مفيدة: عبدالرحمن خليفة (القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، 1347هـ)، 120.

(4) ابن تيمية، **منهاج السنّة**، 6: 353 – 355.

(5) ابن الوزير، عز الدين محمد بن إبراهيم (ت 840هـ/1436م)، **الروض الباسم في الذّب عن سنّة أبي القاسم**، اعتنى به: علي بن محمد العمران (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، د.ت)، 281 – 283.

(6) الذهبي، **أعلام النبلاء**، ترجمة رقم (110)، 3: 407.

(7) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1448م)، **الإصابة في تمييز الصحابة** (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1433هـ/2012م)، ترجمة رقم (1952)، 333.

ولو سلّمنا بتلك الأحاديث سنداً ومتناً، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة وأجراً**[1]"؛ وهو ما يترتب عليه أن ما يظنه خليل، وكل من أُشرب في قلبه بغض الصحابة عامة وبني أمية خاصة، مسبّة للحكم ولعنة عليه، هو - إن شاء الله – زكاة وأجراً له، وهذا من تمام فضل الله تعالى على عباده، ورحمة رسول الله بأصحابه.

- **عبدالله بن سعد بن أبي سرح:**

من المعلوم أن عبدالله بن سعد - رضي الله عنه – كان أحد كُتّاب الوحي بالمدينة، ثم إن الشيطان ركبه، فأرتدَّ على عقبيه، وانصرف إلى مكة كافراً، ثم تشفع فيه أخوه من الرضاعة عثمان بن عفان - رضي الله عنه – يوم الفتح، فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم على كره منه، وعاد إلى حظيرة الإسلام. لقد أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عثرته، وتغمد ذنبه، إلا أن خليل عبدالكريم، ومن لفَّ لفه، يظنون أن ما فعله ابن أبي سرح عار لا ترحضه عنه السنون، على الرغم من أن ابن أبي سرح قد أسلم وحسن إسلامه، ولم يظهر منه بعد ذلك ما يُنكر عليه[2].

إن ردة ابن أبي سرح لا ينتطح فيها عنزان، ولكن السؤال: هل كان هذا الصحابي – كما أشاعت أكثر الروايات - يُحرّف كلام الله عن موضعه، أي: كان يُملي عليه (الظالمين) فيكتب (الكافرين)، وأشياء كهذه؟ إن الروايات كافة – بما فيها الروايتين التي نقلهما خليل في كتابه[3] – في إسنادهما نظر. ففي الرواية الأولى، التي رواها ابن إسحاق بن يسار المدني صاحب (سيرة ابن إسحاق) عن أبي نجيح، تبرز علتان: أولهما: إن ابن إسحاق مختلف فيه بين العلماء؛ فمنهم من يوثقه، مثل: ابن حنبل، وابن معين، وعلي بن المديني، ويحيى بن كثير، وشعبة ومنهم من يوهنه، مثل: النسائي، والدارقطني، ومالك بن أنس، وهشام بن عروة، وابن عيينة، وحماد بن سلمة[4]. وثانيهما: إن أبا نجيح لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يُعرف عمن سمع بهذا الرواية؛ مما يجعل الحديث مرسلاً[5] لا يُحتج بها. وأما الرواية الثانية، التي ذكرها محمد بن عمر الواقدي، فهي مردودة عند جمهور العلماء؛ لأن الاجماع استقر بينهم على توهين الواقدي. فابن حنبل قال عنه: "**هو كذّاب، يقلب الأحاديث**"، وقال عنه أبو حاتم: "**متروك**"، وقال أبو حاتم أيضاً والنسائي: "**يضع الحديث**"، وقال الدارقطني: "**فيه ضعف**"، وقال ابن عدي: "**أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه**"، وقال إسحاق بن الطباع: "**رأيت الواقدي في طريق مكة يسيء الصلاة**"، وقال ابن راهويه: "**هو عندي ممن يضع الحديث**"، وقال يحيى بن معين: "**ليس بثقة**"، وقال كذلك: "**ليس بشيء لا يُكتب حديثه**"، وقال البخاري: "**متروك الحديث**"[6].

(1) مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ/875م)، **صحيح مسلم** (القاهرة: دار التأصيل، 1435هـ/2014م)، كتاب: البر والصلة وتحريم الظلم، باب: في جعل دعاء النبي على المؤمنين زكاة ورحمة، حديث رقم (2686)، 6: 460.

(2) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت 630هـ/1233م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة** (بيروت: دار ابن حزم، 1433هـ/2012م)، 678.

(3) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 259.

(4) الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/1348م)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار المعرفة، 1382هـ/1963م)، ترجمة رقم (7197)، 3: 468 – 475.

(5) الحديث المرسل: هو الحديث الذي رفعه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم من غير ذكر الواسطة التي بينه وبين النبي، والواسطة هو: الصحابي. انظر مثلاً: الماجدي، سيد عبدالماجد، **الميسر في علم مصطلح الحديث**، ط 2 (دمشق: دار ابن كثير، 1439هـ/2018م)، 174.

(6) ابن الجوزي، **الضعفاء والمتروكين**، ترجمة رقم (3137)، 3: 87؛ الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ترجمة رقم (8690)، 4: 155.

وإمعاناً من المؤلف في الحط من قدر عبدالله بن سعد وتصغير شأنه، قال: **"ولكن محمداً لم يأبه له ولا إسلامه، ولم يلتفت إليه ولذلك صمتت كتب السيرة عن ذكره**[1]"، وهذا كلام لا صحة له. جاء في (تهذيب تاريخ ابن عساكر) أن عبدالله كان يفرّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما رآه خجلاً مما فعله قبل فتح مكة، فذكر ذلك عثمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: **"الإسلام يجب ما كان قبله"**، فكان عبدالله بعد ذلك يجالس رسول الله ويسلم عليه[2]. ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وهو كاره له وساخط عليه لما وجدنا ابن أبي سرح يخرج بجيش الفتح إلى إفريقية وتحت إمرته وجوه الصحابة وخيارهم، من أمثال: عبدالله بن عمر، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وعبدالله بن العباس، والحسن والحسين[3].

وتفتقت مواهب ابن أبي سرح – رضي الله عنه – في زمن الخلافة الراشدة؛ إذ كان من أبطال الإسلام ومغاويرهم؛ تشهد بذلك أعماله الجهادية في فتح مصر، وإفريقية، والنوبة، وقبرص، ومعركة ذات الصواري البحرية، إلا أن صاحب (شدو الربابة) يرى أن تلك الأعمال لا تعدل ثمن حزمة من كراث! يقول خليل: "... **مساهمته في وطء مصر لا يعطيه ميزة أو أفضلية، وإلا لكانت لعبدالرحمن بن ملجم عليه لعنة الله والناس أجمعين، قاتل علي ميزة وأفضلية لأنه أيضاً اشترك في غزو مصر وكان شيخ القرّاء فيها**..."[4]. يا له من منطق! إذا كان لا فرق بين ابن أبي سرح وابن ملجم، فلا فرق كذلك بين الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعمرو بن العاص وغيرهم من كبار الصحابة وابن ملجم قاتل علي! بل لا فرق بين كل من مضى شرقاً أو غرباً ليسهم في فتح البلاد ونشر الإسلام وابن ملجم! ولكي نضع الأمور في نصابها، فالعرب قاطبة عند خليل ليسوا إلا جموع من اللصوص الجياع الأوباش الذين تسببوا بسقوط أعظم الحضارات في مصر والشام والعراق وفارس وأرقاها، وحسبك أن تتأمل هذين النصين، ودعك مما فيهما من الغمز واللمز: **"ليصب خراجها في جيوب المهاجرين والأنصار وذراريهم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ليعيشوا منعمين مرفهين من عرق المصريين والشوام والعراقيين حتى تقوم الساعة**[5]"، وقوله عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما -: **"ولِمَ يتعب ابن عمر نفسه في الغرس والقلع وعنده العشرات بل المئات من العُبدان الذين يتولون عنه العمل، وكل ما عليه هو أن يتلقى الأعطيات والمنح والهبات والنفحات... الخ. ومن هنا يبين أن ابن عمر وغيره من الصحابة هم الذين استنوا هذه السنّة لأحفادهم من أبناء شبه الجزيرة والخليج**[6]".

وزعم خليل أن عثمان بن عفان – رضي الله عنه - ولّى عبدالله بن سعد مصر؛ مكافأة له على وقوفه إلى جانب أخيه من الرضاعة وتأييد حقه في الخلافة بعد استشهاد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه -، وهذا الكلام: إما أن يكون جهلاً من الكاتب، وإما أن يكون تزييفاً للتاريخ، وكلاهما ذنب لا يُغتفر. إن عبدالله بن سعد كان مقيماً بمصر منذ أن فتحها المسلمون (وطأوها على حد تعبير المؤلف!)، وكان فوق هذا أميراً على صعيدها بأمر من عمر بن الخطاب. ومما هو قمين بالذكر أن عمرو بن العاص كان قد قدم على عثمان بالمدينة، وسأله أن يعزل عبدالله عن صعيد مصر، فقال عثمان: **"ولاّه عمر بن الخطاب الصعيد، وليس**

(1) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 258.
(2) ابن سعد، **الطبقات الكبير**، ترجمة رقم (1114)، 6: 131؛ ابن بدران، عبدالقادر بن أحمد الدومي الدمشقي الحنبلي، **تهذيب تاريخ ابن عساكر** (دمشق: المكتبة العربية، 1351هـ)، 7: 433.
(3) ابن الأثير، **أسد الغابة**، 678؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874هـ/1470م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، 1: 108.
(4) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 259.
(5) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 52.
(6) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 128.

بينه وبينه حرمة، وقد علمت أنه أخي من الرضاعة، فكيف أعزله عما ولاّه غيري؟". فغضب عمرو وقال: **"لست راجعاً إلا على ذلك"**. فكتب عثمان إلى عبدالله بن سعد يؤمّره على مصر كلها[1]. وهناك نص آخر عند الإمام الذهبي يشير إلى أن رأس الفتنة وموقدها ومؤجج نارها وجامع حطبها عبدالله بن سبأ المعروف بابن السوداء ارتحل إلى مصر؛ ليزرع فيها بذور الفتنة والشقاق، فانخدع به جماعة من أهلها، ثم سألهم أن يشكوا أميرهم عمرو بن العاص إلى عثمان بن عفان ليستعفيه عنهم، ويسألونه أن يولّيَ عليهم من هو أضعف منه – يقصدون عبدالله بن سعد - ليخلوا لهم الجو، فأجابهم عثمان إلى ما يطلبون[2]. جملة القول، كلا الروايتان تُسقطان ما أدعاه خليل من أن تعيين عبدالله بن سعد على مصر كان ثمناً لنصرته لأخيه من الرضاعة حتى يتسنّم عثمان سدة الحكم.

وعاد خليل عبدالكريم ليحمل على عبدالله بن سعد مرة أخرى؛ لأنه اشتدَّ في حلب البقرة وإجهاد ضروعها – يقصد مصر -؛ مما جعل عثمان بن عفان – رضي الله عنه – ينظر إلى عمرو بن العاص – رضي الله عنه - ويقول له ليغيظه: **"درّت اللقاح، فقال عمرو: ذاك إن يتم بضر الفصلان**[3]". إن هذه الرواية نجدها في أكثر كتب التواريخ والتراجم، إلا أنها لا تتفق في لفظها، والأهم من ذلك أنها روايات مرسلة، بمعنى أن رواتها لم يذكروا ممن سمعوها من أصحاب رسول الله. فرواية التابعي عيّاش بن عباس (ت نحو 133هـ/751م) - والتي جاءت عند ابن سعد في طبقاته – لا يُعرف ممن أخذها؛ لأنه لم يشهدها في زمانها[4]. ومثلها ما رواه التابعي يزيد بن أبي حبيب (ت نحو 128هـ/746م)، فهي أيضاً رواية مرسلة لا يُحتج بها ولا يُعتمد عليها. لقد أراد خليل عبدالكريم بهذه الرواية الساقطة سنداً أن يشوه لنا صورة ابن سعد بأنه كان ظلوماً غشوماً عسوفاً، وهذا ما لا يتفق مع ما ورد عند بعض المؤرخين الذين وصفوه أنه كان محموداً في ولايته[5].

وأنهى خليل عبدالكريم حديثه، أو شتائمه إن صح التعبير، عن هذا الصحابي الجليل؛ ناعتاً إياه بالانتهازية، ونكران الجميل، وتخاذله عن النهوض في نصرة عثمان بن عفان، وهي نعوت لا تليق بصحابي، فضلاً عن تهافتها وتفاتها وعدم صدقها[6]. يقول خليل عن ابن أبي سرح حين أدارت الفتنة رحاها في المدينة – أو يثرب كما يحب أن يسميها المؤلف –، وقام الغوغاء على عثمان -: "... **وكان الوفاء يحتم على عبدالله أن يحضر على رأس جيش لَجب لإنقاذ أخيه من أيدي الثوار ولكن كيف يترك العز والبُلهنية والرفاهية التي يغوص في أعماق بحارها ويزج نفسه في أتون فتنة لا يعلم مداها إلا الله، بل أن الثوار لما انتزعوا منه مصر، لم يقاوم وتركها لهم لقمة سائغة وأخذ ثقله وحريمه وأطنان ذهبه واختار مدينة جميلة ينعم فيها بذلك كله**...[7]".

من الواضح أن خليل حين لا يجد ما يكفي من الروايات لسد الفراغ لديه، فإنه لا يتردد في غمس ريشته في حبر خيالاته وأوهامه ليستكمل كتابة مشهد تاريخي، أو رسم ملامح شخصية ما، وهذا ما فعله خليل هنا. إنه لمن المؤكد أن الرجل لم ينظر في المصادر المعتبرة؛ لأنه لو فعل ذلك لعلم أن عبدالله بن سعد ركب من وقته في وجوه جنده إلى المدينة في شهر رجب من سنة 35هـ/656م،

(1) ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، هامش رقم (3)، 1: 83.
(2) الذهبي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ/1348م)، **تاريخ الإسلام ومشاهير الوفيات والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م)، 2: 235.
(3) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 260.
(4) ابن سعد، **الطبقات الكبير**، ترجمة رقم (1114)، 6: 131 – 132.
(5) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت 350هـ/961م)، **ولاة مصر**، تحقيق: حسين نصّار (بيروت: دار صادر، د.ت)، 35؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، 2: 297 – 298؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 1: 101.
(6) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 261.
(7) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 261.

لما وصله كتاب من عثمان بن عفان يستدعيه هو وبقية عماله على الأمصار؛ ليشاورهم في أمر أولئك الغوغاء. فما أن خرج عبدالله بن سعد من مصر حتى انتزى عليها محمد بن أبي حذيفة – ربيب عثمان بن عفان –، فلما أراد عبدالله الرجوع منعوه من الدخول، فكره أن يمضي إلى عثمان، وانصرف إلى عسقلان، أو الرملة، فقُتل عثمان وهو بها، ثم توفاه الله بعدها بزمن قصير[1].

وأما قول خليل أن عبدالله أخذ معه أثقاله ونساءه وأطنان الذهب، فهذه من مفترياته وما أكثرها! وأما ما حدّثنا به عن تنعم عبدالله بما تحت يده من النساء والذهب في تلك المدينة الفلسطينية، فهذا كلام على عواهنه لا سند له ودليل عليه. كل ما في القصة أن ابن أبي سرح اتخذ عسقلان، أو الرملة، موئلاً له؛ حتى يبقى بمعزل عن الفتنة التي استطار شررها في كل مكان، إلا أن تلك مسألة لا يستوعبها أمثال خليل ممن جعلوا المادة هي مدار فهمهم وأساس حكمهم.

- **الوليد بن عقبة بن أبي معيط:**

حرص خليل عبدالكريم على النيل من الوليد بن عقبة – أخو عثمان بن عفان لأمه - بكل طريقة ممكنة، فأخذ في جمع الغث والسمين من الروايات، وما علم أن بعض الروايات التي ساقها يتضارب بعضها مع بعض، كما سيتضح لنا الآن. يقول خليل في مستهل حديثه عن الوليد: "**أخذته أمه إلى محمد ليمسح على رأسه ويباركه – كباقي الفتيان – ولما كان محمد عبقرياً شديد الفراسة فقد رفض**[2]". وفي موضع آخر كتب خليل: "**وظل الوليد على شركه حتى يوم فتح مكة فأسلم كبقية (الطلقاء) ونزولاً على سياسته الرشيدة في محاولة ترويض خصومه السابقين حتى من يتوسم فيهم الإصرار على العناد فقد أوكل محمد إلى الوليد وظيفة (مصدق) أي جابي زكاة لعل ذلك ينزع ما في صدره من غل نحوه والهواشم والإسلام...**[3]". هاتان الروايتان لا يمكن أن تجتمعا؛ فواقعة مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على رؤوس الصبية لا يمكن أن تكون إلا في المدينة، أو في مكة يوم فتحها، وبما أن الوليد لم يسلم إلا بعد فتح مكة، فهذا يعني أن واقعة المسح على رؤوس الصبية وقعت بعد فتح مكة، ولكن لو قبلنا بهذا التفسير، فكيف يستقيم أن يجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع الصدقات وهو مازال صبياً؟! وقبل أن نتجاوز هذه الإشكالية التي أوقع خليل نفسه في شباكها، فإنه يجمل بنا أن نلفت نظر القارئ إلى أن خليل يرجح أن سبب امتناع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسح على رأس الوليد هو أنه علم بفراسته أن هذا الصبي عندما يكبر سوف يصبح -كسائر بني أمية - حرباً على الإسلام وعلى بني هاشم، وهو ما تحقق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم[4]! عندما قرأت هذا التفسير الذي ما أنزل الله به من سلطان، قلت في نفسي: قاتل الله الجهل والهوى فإنهما يعميان البصائر. أولاً: أن بني أمية كلهم لم يكونوا أعداء للإسلام ونبيه، فعثمان بن عفان، وخالد بن سعيد بن أبي العاص، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان – رضوان الله عليهم – وغيرهم ممن لم نذكرهم كانوا ممن اعتنقوا الإسلام في أول أمره وهم في مكة، وثانياً: لم يقع من الوليد بن عقبة عقب إسلامه ما يضر الدين ويسيء

(1) الكندي، **ولاة مصر**، 37 – 40؛ ابن الأثير، **أسد الغابة**، 678؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ترجمة رقم (6138)، 17: 101؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، 1: 104.
(2) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 275.
(3) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 277.
(4) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 275.

لبني هاشم بالمرة، بل كان من قادة جيوش الفتح، وله من الجهاد وحسن البلاء ما يُحمد له ويُثاب عليه[1]، وحتى لما أخرجت الفتنة خطمها وعينيها بعد استشهاد عثمان – رضي الله عنه – اعتزلها ولم يغمس يديه في دم إخوته في الدين والعروبة[2].

ولا يُذكر الوليد بن عقبة إلا وتُستحضر الآية القرآنية الكريمة: {**يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**[3]}، والمقصود بالفاسق في قوله تعالى – كما أطبقت عليه أكثر المصادر – هو الوليد نفسه. يقول خليل: "**هذه الواقعة وقد أوردتها تلك المصادر ذات الرتبة العالية والمقام الرفيع لا سبيل للتشكيك فيها بل نستطيع أن نقول إن كتب التفسير المعتبرة جميعها تنص عليها**[4]". وعلى الرغم من وجود شبه اتفاق بين المؤرخين والمفسرين على أن المعني بالفاسق هو الوليد، فإن هناك جملة من الأدلة ما تكفي مجتمعه لإسقاط هذه التهمة الشائنة التي أُلصقت به قروناً مديدة، وحسبنا أن نأتي بثلاث منها. إن أول تلك الأدلة، ما جاء على لسان الوليد نفسه حين قال: "**لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم ويدعو لهم، فجيء بي إليه وإني مطيب بالخلوق، فلم يمسح على رأسي، ولم يمسني**[5]"، فمن كان في هذه السن، فإنه من المحال أن يبعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم جابياً للزكاة! وإذا كانت بعض الروايات تذكر اسم الوليد صراحة، فإن لدينا روايات أخرى لا تذكر الوليد بالاسم، بل تذكر أنه كان (رجلاً جباناً)[6]، ولو قال قائل: ما يمنع أن يكون الوليد هو المقصود بالرجل الجبان؟، لقلنا: إن من جعله أبو بكر وعمر – رضي الله عنهما – أميراً على بعض جيوش الفتح لا يعقل أن يكون جباناً! ونجد رواية ثالثة تبرئ ساحة الوليد عند أم المؤمنين أم سلمة – رضي الله عنها – تقول فيها: "**بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً في صدقات بني المصطلق بعد الوقعة، فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحدّثه الشيطان أنهم يريدون قتله، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم**...[7]"، ولعل القارئ تنبه إلى أن تلك القصة قد جرت بعد غزوة بني المصطلق، أو المريسيع، في السنة الخامسة أو السادسة من الهجرة، أي قبل إسلام الوليد يوم فتح مكة. إن الأدلة المذكورة أعلاه تفنّد ما ذهب إليه خليل عبدالكريم من اجماع المصادر التاريخية على إلباس الوليد تهمة الفسوق. ولو عاد القارئ إلى ترجمة الوليد بن عقبة عند ابن عساكر لهاله كثرة الروايات واختلافها في تلك القضية[8]. ولا يجدر بنا أن نغض الطرف عن تعليقات الشيخ محب الدين الخطيب – رحمه الله – على هذا الموضوع؛ ففيها ما ينقع الغليل ويشفي العليل[9].

وولّى عثمان بن عفان – رضي الله عنه – الوليد بن عقبة الكوفة، فمشّى الأمور أحسن تمشية، وسار فيهم سيرة محمودة، ولكن خصومه وخصوم عثمان من أهل السوء ظلوا يدبرون عليه الحيلة للتخلص منه، فكان لهم ما أرادوا، كما سيأتي معنا في

(1) انظر مثلاً: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 550؛ ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (8033)، 63: 242؛ ابن حجر، **الإصابة**، ترجمة رقم (9214)، 1571.
(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (8033)، 63: 223.
(3) سورة الحجرات، الآية 6.
(4) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 278.
(5) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (8033)، 63: 224 – 225.
(6) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (8033)، 63: 231.
(7) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت 310هـ/923م)، **تفسير الطبري**، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي (القاهرة: دار هجر، 1422هـ/2001م)، 21: 349 – 350.
(8) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (8033)، 63: 272 – 232.
(9) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله المعافري الأشبيلي (ت 543هـ/1148م)، **العواصم من القواصم**، تحقيق: محب الدين الخطيب، ط 6 (القاهرة: مكتبة السنّة، 1412هـ)، هامش رقم (115، 117)، 102 – 104.

السطور التالية. ففي أثناء إمارة الوليد على الكوفة، أقدم بعض الشبّان على قتل رجل من أهل المدينة، فأُحيط بهم، وحُملوا إلى الوليد الذي كتب في شأنهم إلى الخليفة بالمدينة، فأمره بقتلهم، فقُتلوا[1]. ومنذ تلك الساعة، وآباء المقتولين يحفرون للوليد، ويضعون عليه العيون[2]. وكان للوليد صديقاً يقال به أبو زبيد، نصراني، من بني تغلب، ثم أسلم على يد الوليد، وصار يغشى مجلسه بالمدينة، ثم بالكوفة. ولما كان أبو زبيد عند الوليد، أتى رجل إلى آباء المقتولين، وقال لهم أن الوليد وصاحبه يشربان الخمر، فثاروا وأخذوا نفراً معهم من أهل الكوفة ليشهدوا عليه، فلم يجدوا عنده شيئاً، فأقبلوا يتلاومون وسبّهم الناس، وأغضى الوليد عن فعلتهم تلك، ولم يكتب إلى عثمان فيهم[3]. ودخل بعض ذوي المقتولين دار الإمارة مع غمار الناس، فلما تنحى الوليد ليستريح وانصرف أكثر الناس، عمد أثنان منهم إلى سرقة خاتمه، ثم ركبا إلى عثمان بالمدينة، وأخبراه أنهما أخذه من الوليد وهو سكران لا يعي، فأرسل عثمان في طلب الوليد، فلما قدم عليه وجدهما عنده، فقصَّ عليه القصة، وحلف أنه ما شربها، فقالله عثمان: "نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار، فاصبر يا أخي!"، فجلده، ثم صرفه عن الكوفة[4].

ومن الأقاويل المرقشة التي لاكتها الأشداق عن الوليد بن عقبة أنه صلّى بالناس صلاة الفجر أربع ركعات وهو سكران، فرُفع ذلك إلى عثمان، فعزله عن منصبه[5]. وعلى ما يبدو للباحث، فإنها قصة تنبو عنها الأسماع، ولا تستسيغها الأذهان. وعلاوة على ذلك، فالطبري في تاريخه – وهو أقدم المصادر - لم يذكرها، وذكرها ابن الأثير بصيغة التمريض، أي: استهل الرواية بكلمة (قيل)[6]، وهذا مما يُضعفها، وأوردها ابن عساكر على لسان الحُصين بن المنذر[7] – أحد أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه –، وهذا ما يُوهنها كذلك. وزادت بعض الروايات أن الوليد في صلاته تلك التفت إلى المصلين، وقال: **"أزيدكم؟"**، فقال عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه -: **"مازلنا معك في زيادة منذ اليوم"**[8]. وهذه الزيادة جاءت عن طريق ابن شوذب، الذي لم يدرك أحداً ممن كان في ذاك الزمان؛ لأنه وُلد بعدها بنحو خمسة عقود ونصف، مما يجعلها رواية مرسلة. ومما يرجح أن الوليد كان ضحية مؤامرة خسيسة أنه ظل يشعر بمرارة الظلم إلى آخر يوم في عمره؛ حيث نُقل عنه أنه لما أشرف على الموت قال: **"اللهم إن كان أهل الكوفة صدقوا فلا تبارك لي فيما أُقدم عليه، واجعل ردي شر مرد، وإن كانوا كذبوا علي فاجعله كفارة لما لا يعلمون من ذنوبي**[9]**"**. ومن أراد أن يطلع على تفاصيل أكثر، فعليه بالرجوع إلى تعليقات الشيخ محب الدين الخطيب، ففيها ما يجلي الأمر، ويزيل اللبس، ويزيل الغشاوة عن العين[10].

ولم يغفل خليل عبدالكريم - وهو يجمع الساقط من الروايات - أن يستشهد بأبيات منسوبة كذباً للشاعر الحطيئة تفضح فيها صنيع الوليد:

(1) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 733.
(2) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري (ت 630هـ/1233م)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، 2012م)، 2: 477.
(3) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 733؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 2: 477.
(4) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 734؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 2: 478.
(5) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 281.
(6) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 2: 478.
(7) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (8033)، 63: 241.
(8) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 2: 478.
(9) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (8033)، 63: 250.
(10) ابن العربي، **العواصم من القواصم**، هامش رقم (120)، 106 – 109.

شهد الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهم أأزيدكم؟ ثملاً وما يدري[1]

ولسوء طالع خليل، ومن دار في فلكه، أن ابن عساكر أشار إلى أن خصوم الوليد هم من حرفوا قصيدة الحطيئة، وزادوا فيها أبياتاً ما جاءت على لسانه، وأنه في الحقيقة قال فيه يعذر:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

خلعوا عنانك إذ جريت ولو خلوا عنانك لم تزل تجري[2]

ولو كان خليل عبدالكريم يملك مثقال ذرة من الموضوعية والأمانة العلمية التي نسبها لنفسه في مقدمة كتابه، لما اشاح بوجهه وغض بصره عن مآثر الوليد الكثيرة التي حفظتها لنا المصادر ذات الرتب العالية والمقام الرفيع - كما درج على وصفها في كتبه -، ولكنه أبى إلا أن يقبّح ذكره ويصغّر شأنه عند قارئه حتى يحسب أن الوليد هذا مُجرد من الفضائل، وخالٍ من المحاسن. يقول الطبري عنه: "... **فقدم الكوفة، وكان أحب الناس في الناس وأرفقهم بهم، فكان كذلك خمس سنين، وليس على داره باب**[3]". ولما صَرف الوليد عن الكوفة، جاء إليه بعضهم يعتذرون إليه ويقولون: "**ما رأينا خيراً بعدك قط**"، فقال: "**لا والله ما رأيت أنا بعدكم شراً منكم**"، فلما أسهبوا في الثناء عليه وأطنبوا في تقريضه، قال: "**حبكم كلف وبغضكم تلف وطُبعتم على الزيادة في الأشعار والتوليد بالآثار وطُبعنا على حذف الفضول والتمسك بالأصول**[4]". وعلى ذكر الكوفة وأهلها؛ فقد كانوا لا يرضون عن أحد من أمرائهم مهما أحسن إليهم ورفق بهم، وكانوا كثيراً ما يسعون بأمرائهم ويطلبون عزلهم، وهذا ما جعل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول لوفد منهم: "**ما لقيت منكم يا أهل الكوفة! إن وليتكم مسلماً تقياً قلتم: هو ضعيف؛ وإن وليتكم مجرماً قلتم: هو فاسق**[5]".

- **مروان بن الحكم بن أبي العاص:**

يرى خليل عبدالكريم أن مروان بن الحكم – رضي الله عنه – كان شؤماً على عثمان بن عفان – رضي الله عنه -، وأنه كان له اليد الطولى في شق عصا المسلمين، وإضرام نار الفتنة التي مازالت تتأجج مع مرور الأيام وكرور الدهور! ولا عجب أن يبغض المؤلف مروان بن الحكم، ويجرده من كل خصلة حميدة، ويلصق به كل نقيصة؛ لأن نسله من بني مروان هم من توسعوا في بسط رقعة الإسلام شرقاً وغرباً، وجعلوا كلمة العرب هي العليا.

(1) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 282.
(2) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (8033)، 63: 220.
(3) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 733.
(4) الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري (ت 900هـ/1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: مكتبة لبنان، 1974م)، 106.
(5) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر (ت نحو 284هـ/897م)، **تاريخ اليعقوبي**، ط 2 (بيروت: دار صادر، 1431هـ/2009م)، 2: 155.

ومن المعلوم أن التعصب يعمي قلب صاحبه عن النظر، ويمنعه من اتباع الحق، وهذا ما وجدناه حين قال خليل عن مروان: **"كان رجلاً لا فقه له ولا يُعرف بالزهد ولا برواية الآثار ولا بصحبة ولا ببعد همة**[1]". لقد أراد خليل بهذا القول أن يُحقر من أمر مروان، ويُصغره في أعين القراء، وما علم أنه بذلك قد أقرَّ على نفسه هو بالجهل والتعصب. فلو أنه رجع إلى بعض تلك المصادر لما أقحم نفسه في أمر لا حظ له فيه ولا عناية به؛ وذلك لوجود أدلة كثيرة على رواية مروان للحديث، وعلى فقهه، وعلى قضائه، وعلى ثناء الأمراء والعلماء عليه. ففيما يتعلق برواية الحديث؛ فقد روى مروان عن جملة من الصحابة، كعمر، وعثمان، وعلي، وزيد بن ثابت، وغيرهم، وروى عنه من الصحابة: سهل بن سعد الساعدي – رضي الله عنه -، وهو أكبر من مروان سناً وقدراً، وروى عنه جماعة من كبار التابعين، كعلي بن الحسين، وعروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وغيرهم[2]. وكانت لمروان القدم الراسخة في الفتيا[3]، وجعل صاحب (الإصابة في تمييز الصحابة) مروان في عداد الفقهاء[4]، وكان قضاؤه مقبولاً جداً عند الإمام مالك بن أنس[5]. ولما قيل لمعاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه -: **"من ترى لهذا الأمر من بعدك؟"**، قال: **"وأما القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، الشديد في حدود الله، فمروان بن الحكم"**[6]، وكان الحسن والحسين – رضي الله عنهما – يصليان وراء مروان[7]؛ لعلمهما بدينه وفضله وعلمه، ونُقل عن أحمد بن حنبل قوله في مروان: **"كان عند مروان قضاء، وكان يتبع قضاء عمر بن الخطاب**[8]". فهل بعد ما ذكرناه شك في دين مروان وعلمه، كما يزعم خليل عبدالكريم؟!

وكما تقدم القول؛ فقد اتهم المؤلف مروان بأنه كان أحد المتسببين بفتح باب الشر على الأمة الإسلامية؛ لأنه كان – بحسب زعمه - غالباً على عثمان، ومُصرفاً له، ومتحكماً به؛ مما أوغر الصدور، وشحن النفوس على عثمان، إلى أن انتهى بالقيام على الخليفة وسفك دمه. لقد كتب الأولون والآخرون عن تلك الفتنة، وذهبوا فيها مذاهب شتى، حتى اختلط الحابل فيها بالنابل، وامتزج الصحيح فيها بالباطل. والملاحظ أن خليل، ومثله كثير من أصحاب الأفكار العلمانية والاشتراكية، قد ركنوا إلى روايتي كلاً من أبي مخنف لوط بن يحيى ومحمد بن عمر الواقدي – المشار إليها سلفاً – وما في روايتهما من تشنيع على عثمان وابن عمه مروان، واتهام لكبار الصحابة، مثل: طلحة والزبير خلا علي بن أبي طالب بالتحريض على الخليفة[9]. لذا؛ لا تجد عند خليل وأشباهه أي إشارة إلى دور عبدالله بن سبأ في تأليب الخارجين على عثمان والنفخ في جمرة الفتنة[10]،

---

(1) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 263.

(2) ابن العربي، **العواصم من القواصم**، 101؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ترجمة رقم (369)، 25: 305؛ ابن حجر، **الإصابة**، ترجمة رقم (8131)، 1394 – 1395.

(3) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ترجمة رقم (7312)، هامش رقم (6)، 57: 239 – 240.

(4) ابن حجر، **الإصابة**، 1395.

(5) مالك، أبو عبدالله بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري (ت 179هـ/795م)، **الموطأ**، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1406هـ/1986م)، 495، 551، 557، 800، 863.

(6) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/1373م)، **البداية والنهاية**، اعتنى به: حسّان عبدالمنان (عمّان – الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2004م)، 1306.

(7) ابن كثير، **البداية والنهاية**، 1306.

(8) ابن كثير، **البداية والنهاية**، 1306.

(9) لنقد أخبار الفتنة، يُنصح بالرجوع إلى: العش، يوسف، **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان**، ط 5 (دمشق: دار الفكر، 1419هـ/1998م)، 32 وما بعدها.

(10) انظر مثلاً: الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 759؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبا الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1201م)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط 2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م)، 5: 49؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام**، 2: 235؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، 1102.

بل أنهم يسخرون ممن يتحدث عنه وينسب إليه حبك خيوط المؤامرة؛ بزعمهم أنه شخصية خيالية ابتكرتها عقول تخاف على صورة الصحابة المثالية من التشويه والخدش[1].

ولا يقف الأمر عند خليل عبدالكريم على انتقاء النصوص، وقلب الحقائق، بل يتجاوز ذلك – على مألوف العادة - إلى سوء الأدب مع خصومه، وإطلاق لسانه بسبهم ولعنهم، وهذا خلق ذميم لا ينبغي أن يقع من رجل يدعي العلم والتحضر. فهل كان من اللائق أن يحشو كتابه بشتائم، مثل: "الطليق، لعين رسول الله، خيط باطل، الدنيء، الخسيس، النذل، ابن الوزغة، مضروب القفا، ملزوق القفا، ...الخ[2]"؟! ولسائل أن يسأل: ماذا قصد هذا بمضروب القفا أو ملزوق القفا؟!، فنقول: حين حوصر عثمان بن عفان في داره، شمّر مروان عن ساعده، فرمى رجلاً من فوق الدار فقتله، ثم خرج إلى الغوغاء، ودعى إلى البراز، فقام إليه رجل منهم فاقتتلا، فأهوى الرجل بسيفه على قفا مروان، فخرَّ إلى الأرض، وكادوا أن يجهزوا عليه لولا أن امرأة سقطت عليه، فتركوه لها وبه رمق[3]. وعلى ما يبدو للباحث، فإن خليل عبدالكريم لم يكن يعرف سبب وصف أحدهم لمروان بمضروب القفا؛ لذا ظن أن هذه الكلمة قيلت بغية الانتقاص منه والاستهزاء به – كما يستعملها المصريون في الوقت الحاضر، كتعبير عن الإذلال والإهانة -، وما علم أن مروان إنما ضُرب على قفاه، وكاد أن يفقد حياته؛ ثمناً لإقباله على الموت وعدم مبالاته به. ومهما يكن من أمر، فإن تطاول خليل بالسب واللعن لن يضر مروان في شيء، بل ينفعه – إن شاء الله – عند ربه، وعند الله تجتمع الخصوم يوم القيامة.

وأنهى خليل عبدالكريم كلامه على مروان بن الحكم بالقول أن زوجته وأرملة يزيد بن معاوية أم هاشم فاختة بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة قتلت مروان بأن غمّته بوسادة وهو نائم؛ لأنه أهان ولدها خالد بن يزيد في مجلس ضمَّ وجوه أهل الشام ليسقطه من أعينهم، أو لإنه صرف خالد عن ولاية العهد وجعلها في ولديه عبدالملك ثم عبدالعزيز. ولم يكتفِ خليل بذكر هذه القصة، بل دافع عنها بشدة؛ واصفاً موت مروان على يد امرأة بأنه مسبّة له، وجزاءً له على خسته ودناءته[4]!

إن الرواية التي عرضها الطبري في تاريخه، وتلقفها المؤرخون من بعده، إلى أن وصلت إلى خليل عبدالكريم، هي رِواية ضعيفة في سندها؛ فالراوي أبو الحويرث مُجمع على توهينه عند أهل الجرح والتعديل كافة[5]. وعلاوة على ذلك، ففي أيدينا روايات متضاربة في كيفية موته، وفي هوية قاتله. فهناك رواية تزعم أنه مات حتف أنفه، أي: مات موتة طبيعية، ورواية تقول أنه مات في الطاعون، وأخرى تشير بأصابع الاتهام إلى أن زوجته سقته لبنا مسموماً، ورابعة تتهمها أنها خنقته بوسادة، وخامسة وأخيرة تشير إلى أنها أمرت جواريها أن يضعن وسادة عليه وهم نائم ويجلسن عليه حتى يختنق ويموت[6].

(1) هناك أبحاث وكتب تؤيد الوجود التاريخي لعبدالله بن سبأ، وبشهادات من علماء السنّة والشيعة وغيرهم، مثل: الهاشمي، سعدي، **ابن سبأ حقيقة لا خيال** (المدينة المنورة: مكتبة الدار، 1406هـ)؛ العود، سليمان، **عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام**، ط 2 (الرياض: دار طيبة، 1412هـ)؛ أبو الحسن علي الرازحي، **توضيح النبأ عن مؤسس الشيعة عبدالله بن سبأ** (القاهرة: دار الآثار، 1428هـ/2007م).

(2) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 262 – 275.

(3) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 774.

(4) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 267 – 269.

(5) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1448م)، **تهذيب التهذيب** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1414هـ/1993م) ترجمة رقم (539)، 6: 272 – 273.

(6) اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، 2: 257؛ ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (7312)، 57: 280؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 3: 274؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن محمد (ت 733هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: عبدالمجيد ترحيني

فكما ترى، فإن ضعف الأسانيد من جهة، وتناقض الروايات من جهة أخرى، يسمح لنا أن نضرب بكلام خليل عرض الحائط. وإلى جانب ذلك؛ فقد شكك الدكتور محمد الريس في إقدام زوجة مروان على قتل زوجها؛ لأنها امرأه من بيت رفيع، كريم الأصل، أثيل المنبت، وفوق هذا فهي زوجة خليفة سابق (يزيد بن معاوية)، وأم خليفة سابق (معاوية بن يزيد)، ثم زوجة خليفة حالي (مروان بن الحكم)، ولم يُعرف عن نساء قريش الشريفات الحسيبات القيام بعمل كهذا قط. ثم لو أنها قتلته، أو دسّت عليه من قتله، لدبَّ الخلاف في الأسرة الأموية، ولعلت دعوات الانتقام، ولسالت في سبيل ذلك الدماء، ولكن لا شيء من هذا حصل؛ فهذا خالد بن يزيد ظل قريباً من الخليفة عبدالملك بن مروان ووفياً له، وتزوج خالد بابنة عبدالملك، وتزوج عبدالملك بعاتكة بنت يزيد، أي: أخت خالد[1].

- **معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب:**

واصل خليل عبدالكريم مسلسل التظاهر بالخوف على الإسلام، والحزن على آل البيت، والإشفاق على القيم الثورية التي أطفأ جذوتها من يسميهم بالطلقاء. يقول خليل متباكياً على حال الإسلام، ومآل ثروة المسلمين، وهو ألد الخصام: "**كيف يتمرغ الطليق ابن هند آكلة الأكباد في النعيم ويحكم مدة أربعين عاماً متوالية والذين قاموا بالثورة مع مفجّرها وقائدها يُضربون بالسياط ويغرّبون ويُنفون؟**[2]". ليت خليل كان يعلم أن المسلمين في عهد أمير المؤمنين وخال المسلمين معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – كانوا في خير وعزة ومنعة لم يعرفها هو ولا رفاقه في جنتهم الماركسية، والحمد لله على نعمة الإسلام. أما تعيير معاوية بأمه هند بنت عتبة – رضي الله عنها -، فهذا لا يُستغرب منه كما مرَّ بنا مراراً وتكراراً، ولكن خليل وغيره كثير من المسلمين يظنون أن هنداً قد أكلت بعضاً من كبد حمزة بن عبدالمطلب - رضي الله عنه – وهذا غير صحيح. جاء في حديث لابن مسعود – رضي الله عنه – عن غزوة أحد: "**فنظروا فإذا حمزة قد بقر بطنه، وأخذت هند كبده فلاكتها، فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أأكلت منه شيئا؟ قالوا: لا. قال: ما كان الله ليدخل شيئا من حمزة النار**...[3]". هذا الحديث إسناده ضعيف متقطع؛ ففيه عطاء بن السائب: صدوق ولكنه اختلط[4]، وفيه حماد بن سلمة: اختلط، ولا يُعرف إن كان هذا الحديث قبل اختلاطه أو بعده[5]، وفيه عامر بن شراحيل الشعبي عن عبدالله بن مسعود: والشعبي لم يسمع من ابن مسعود[6]. وأما متنه فمستنكر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم "**ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار**"، فكيف هذا وقد أسلمت هند وحسن إسلامها؟!

ولا يجد خليل عبدالكريم في نفسه حرجاً من التلاعب بعلم النفس وعلم الاجتماع؛ بغية فهم سلوكيات الصحابة وتفسيرها. فعلى سبيل المثال، أدعى خليل أن حياة الشظف والحرمان التي عاشها معاوية في طفولته وشطراً من شبابه هي من جعلته يستولي

(بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت)، 21: 57؛ الريس، محمد ضياء الدين، **عبدالملك بن مروان والدولة الأموية**، ط 2 (القاهرة: مطابع سجل العرب، 1969م)، 50.

(1) الريس، **عبدالملك بن مروان**، 50 – 52.

(2) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 313.

(3) ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ/855م)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، 1429هـ/2008م)، حديث رقم (4506)، 2: 703.

(4) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ترجمة رقم (385)، 7: 207.

(5) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ترجمة رقم (385)، 7: 207.

(6) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ترجمة رقم (110)، 5: 68.

على أموال المسلمين ويحتجنها لنفسه دون حسيب أو رقيب[1]، وهذه لعمري تهمة لم نسمعها بها حتى من أشد الناس بغضاً لمعاوية وعداوة له، ولكن ما الحيلة إذا كان خليل في كتابه هذا لا يرى الأمور إلا من زاويته: المال والجنس؟! ومثلما جعل الكاتب الظروف المناخية والحضارية مدخلاً لتفسير تكالب الصحابة المسعور في زمن النبوة – كما يتوهم – على مجامعة النساء، فها هو يضع فقر معاوية سبباً لتبرير حبه للأموال وشراهته للطعام، والطريف في الأمر أنه لا الصحابة كانوا مولعين بالجنس، ولا معاوية كان مولعاً بحب المال، مما يعني أنه كان يجري خلف سراب بقيعة يحسبه ماءً!

ولا ينتهي الأمر بخليل إلى اتهام معاوية – رضي الله عنه – بجمع الأموال فحسب، بل ينسب إليه – كما تذهب معظم المصادر التاريخية - قتل خصومه دون أن يرف له جفن، أو يتحرك له ساكن. فمعاوية هو من دسَّ السم إلى الحسن بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من أزاح عن دربه ودرب ابنه يزيد عامله المخلص وساعده الأيمن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد، وهو من سفك دم حُجْر بن عدي صاحب علي بن أبي طالب. إن تلك الشبهات ظلت تتدحرج منذ قرون بعيدة مثل كرة الثلج، ولا تزال تكبر حتى غدت مثل الجبال التي يتعذر زحزحتها من عقول أكثر الناس. والآن لننظر فيما نقله خليل عن مصادره حتى نردَّ عليه بالأدلة النقلية والعقلية.

يقول خليل في معرض اتهامه لمعاوية بقتل الحسن: **"وكان معاوية قد وُلد قبل الحسن بما يقرب من عشرين عاماً – أي أن احتمال توليّ ابن علي للخلافة كبير وبذلك سوف تفلت من بني أمية وتنتقل إلى بني هاشم فماذا يفعل وهو الخبير الخريت والدليل الحاذق والعريف بطرق قشع خصوم الدولة؟ اتصل بإحدى زوجات الحسن وتُدعى جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك من يزيد، فكان الذي بعثها على سمّه فما مات وفّى لها معاوية وأرسل إليها إنا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه[2]"**.

لا شك في أن خليل صادف وهو يقلب كتب التاريخ روايات كثيرة تدفع بالتهمة عن معاوية بن أبي سفيان، ولكنه رمى بها خلف ظهره؛ لأنها لا تخدم أهوائه وتحقق أغراضه. فهناك روايات تزعم أن يزيد بن معاوية هو من دسَّ السم إلى الحسن بواسطة زوجته جعدة[3]، وهناك غيرها تتهم الزوجة دون أن تذكر اسم معاوية وولده يزيد[4]، وأخرى لا تذكر اسم أحد منهم[5]. إن تناقض الروايات، واختلاف الأقوال، كافي لرد التهمة عن معاوية. وعلاوة على ذلك، فإن الحسن بن علي قد تنازل عن الخلافة لمعاوية، فلماذا يقتله إذن؟! وأما الروايات التي تحدثت عن اتفاق بين الحسن ومعاوية على أن تؤول الخلافة إلى الحسن بعد موت الأخير فهي قليلة، وفوق ذلك لم تصل بسند صحيح، ولم يلتفت إليها أكثر المؤرخين[6].

(1) عبدالكريم، **شدو الصحابة**، 2: 315 – 326.
(2) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 93.
(3) انظر مثلاً: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (1383)، 13: 284؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، 5: 226؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ترجمة رقم (3350)، 12: 68؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، 1212؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1505م)، **تاريخ الخلفاء**، ط 2 (الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1434هـ/2013م)، 318.
(4) انظر مثلاً: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 3: 58.
(5) انظر مثلاً: ابن حجر، **الإصابة**، ترجمة رقم (1868)، 317.
(6) لقراءة المزيد من التفاصيل عن الاتفاق الذي جرى بين الحسن ومعاوية سنة 41هـ/661م، يرجى الرجوع إلى: الصرايرة، سليمان سالم، "مناقشة شروط الصلح بين الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان"، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، الكرك، مج 30، ع 5 (2015م): 257 – 260.

وهناك من المؤرخين من اعترض على هذه الفرية، مثل: الإمام الذهبي الذي قال عنها في (تاريخ الإسلام): "**هذا شيء لا يصح فمن الذي أطلع عليه؟**[1]"، وعاضده على ذلك ابن خلدون في تاريخه؛ إذ قال: "... **وما يُنقل من أن معاوية دسَّ إليه السم مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشيعة وحاشا لمعاوية من ذلك**[2]". وامتازت آراء الفقهاء المسلمين في مجال التاريخ الإسلامي بتحررهم من القيود السياسية والأهواء المذهبية، وصرامتهم في استعمال منهج أهل الحديث في نقد الأخبار والروايات. وما أحسن قول ابن العربي حين قال: "**فإن قيل: قد دسَّ على الحسن من سمّه. قلنا: هذا محال من وجهين: أحدهما أنه ما كان ليتقي من الحسن بأسًا وقد سلم الأمر. الثاني: أنه أمر مغيب لا يعلمه إلا الله فكيف تحملونه -بغير بينة- على أحد من خلقه في زمان متباعد لم نثق فيه بنقل ناقل، بين أيدي قوم ذوي أهواء، وفي حال فتنة وعصبية، ينسب كل واحد إلى صاحبه ما لا ينبغي، فلا يقبل منها إلا الصافي، ولا يسمع فيها إلا من العدل المصمم**[3]"، وتابعه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال في كلام طويل هذا بعضه: "**وأما قوله: إن معاوية سم الحسن، فهذا مما ذكره بعض الناس، ولم يثبت ذلك ببينة شرعية، أو إقرار معتبر، ولا نقل يجزم به، وهذا مما لا يمكن العلم به، فالقول به قول بلا علم**[4]".

وأضاف خليل إلى قائمة القتلى الذين ماتوا على يد معاوية: عبدالرحمن بن خالد بن الوليد. وعبدالرحمن، وكنيته أبو محمد، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورآه، وهو من الشجعان المعروفين والأبطال المشهورين، وصاحب هدي حسن وفضل وكرم[5]. يقول خليل – نقلاً عن ابن الأثير في (أسد الغابة): " **ولما أراد معاوية البيعة ليزيد، خطب أهل الشام، فقال: إني قد كبرت سنى، وقرب أجلى، وقد أردت أن أعقد لرجل يكون نظاما لكم، وإنما أنا رجل منكم، فشارفوا رأيكم واجتمعوا. فقالوا: رضينا عبد الرحمن بن خالد. فشق ذلك على معاوية وأسرها في نفسه، ثم إن عبد الرحمن مرض، فدخل عليه ابن أثال النصراني [طبيب معاوية] فسقاه سماً فمات**[6]".

هذه الرواية التي هلّلَ لها وفرح بها خليل جاءت عند ابن الأثير بصيغة التمريض. ونجد الرواية نفسها، دون إسناد، عند ابن الأثير كذلك في (الكامل في التاريخ)[7]، والعجيب أن ابن الأثير قال مرة: إن معاوية قتله؛ لأنه خافه على ملكه[8]، وقال مرة أخرى؛ لأنه خافه على ولده يزيد[9]، فمن نصدق؟! ومما يحسن ذكر، أن وفاة عبدالرحمن كانت في سنة 46هـ/666م، أو في سنة 47هـ/667م، أي: قبل أن يشرع معاوية في البيعة ليزيد، ثم لو أن معاوية خاف عبدالرحمن على نفسه، أو على يزيد، لما عجز عن عزله دون الحاجة إلى قتله، وهو صاحب الأمر والنهي!

(1) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ترجمة رقم (15)، 2: 403.
(2) ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد الإشبيلي (ت 808هـ/1406م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من** ذوي **السلطان الأكبر**، اعتنى به وراجعه: درويش الجويدي (صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1434هـ/2013م)، 1: 696.
(3) ابن العربي، **العواصم من القواصم**، 220 – 221.
(4) ابن تيمية، **منهاج السنّة**، 4: 469.
(5) انظر ترجمته في: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ترجمة رقم (3294)، 761؛ ابن حجر، **الإصابة**، ترجمة رقم (4693)، 788 – 789.
(6) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 98 – 99.
(7) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 3: 51.
(8) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، 3: 51.
(9) ابن الأثير، **أسد الغابة**، ترجمة رقم (3294)، 761.

إن الرواية التي ضمّنها ابن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ) موجودة عند الطبري في تاريخه، وهي عن طريق عمر بن شبه، عن علي بن محمد المدائني، عن مسلمة بن محارب الزيادي. ومسلمة هذا فيه جهالة، ولم يوثقه غير ابن حبان، ولم يدرك القصة؛ مما يدل على أنها منقطعة السند(1)، وأما علي بن محمد المدائني فهو صاحب أخبار، وليس بالقوي في الحديث، وأقل ما له من الروايات المسندة(2).

ولقد أفرد ابن عساكر ترجمة طويلة لعبدالرحمن بن خالد، ولم يذكر فيها أنه كان لمعاوية يد في موته(3). واستنكر ابن كثير هذه الفرية في (البداية والنهاية)؛ إذ قال: "... **وزعم بعضهم أن ذلك عن أمر معاوية له في ذلك ولا يصح والله أعلم**(4)".

وأما عن قتل معاوية لحجر بن عدي الكندي(5)؛ فقد كتب خليل عبدالكريم: "**وفي إحدى سفراته [زياد بن أبيه أمير العراق] عن الكوفة خلف عليها عمرو بن حريث العدوي فقعد له حجر وأصحابه فحصبوه وهو يخطب على المنبر... فكتب إلى زياد الذي أسرع بالعودة وقبض على حجر وأصحابه وحبسهم وأرسلهم إلى معاوية وأرجلهم في سكك الحديث مع مائة رجل من الجند. وكل جريرة حجر وأصحابه انتقادهم لممارسات زياد بن أبيه القاسية ومعاملته الجائرة للرعية. وتعددت الروايات عن وصولهم إلى معاوية... لما أُتي بحجر قال: السلام عليكم يا أمير المؤمنين قال: أو أمير أنا اضربوا عنقه...**(6)".

عند قراءة قصة حجر بن عدي في المصادر القديمة أو المراجع الحديثة ستلمس بوضوح أن هناك ميل عام إلى تضخيم القصة وتهويلها، وتصوير حجر وأصحابه أنهم ضحايا أبرياء سُفكت دماؤهم ظلماً، ودفعوا حياتهم ثمناً؛ لتشيعهم ومحبتهم لصاحبهم علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –، ولوقوفهم في وجوه الظلمة المستبدين: أي معاوية في الشام وزياد في العراق. ومما يدل على أن هناك مبالغة غير مقبولة في تناول قصة حجر بن عدي أن الطبري خصّص معظم حوادث سنة إحدى وخمسين للهجرة، إن لم يكن كلها على وجه التقريب، للحديث عن قتل حجر وأصحابه! وأما ما هو أعجب من هذا وأطم، أن معظم روايات الطبري جاءت عن طريق أبي مخنف، وهو معروف عند علماء الجرح والتعديل – كما ذُكر آنفاً - بأنه متروك الحديث، وإخباري تالف، وشيعي محترق. وعلاوة على ذلك، فإن الذين نقلوا عن أبي مخنف، مثل: هشام بن محمد الكلبي(7)، أو الذين نقل عنهم أبو مخنف، مثل المجالد بن سعيد(8) فمطعون فيهم كذلك، وهذا مما يستدعي الحذر عند قراءة هذا الخبر.

(1) السبيعي، سعد بن ضيدان، **سل اللسان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان**، ط 2 (الرياض: دار العاصمة، 1436هـ/2015م)، 261.
(2) ابن عدي، أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني (ت 365هـ/976م)، **الكامل في ضعفاء الرجال** (دمشق: دار الفكر، 1404هـ/1984م)، 5: 1855.
(3) ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ترجمة رقم (3800)، 34: 324 – 334.
(4) ابن كثير، **البداية والنهاية**، 1206.
(5) حجر بن عدي الكندي: وفد على النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد القادسية، وكان على كندة بصفين، وعلى الميسرة يوم النهروان، وشهد الجمل مع علي، وكان من أعيان أصحابه. وصحبته مختلف عليها، فالبخاري وابن أبي حاتم عن أبيه وخليفة بن خياط وابن حبان فذكروه في التابعين. انظر ترجمته في: ابن الأثير، **أسد الغابة**، ترجمة رقم (1093)، 256 – 257؛ ابن حجر، **الإصابة**، ترجمة رقم (1738)، 298 – 299.
(6) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 87.
(7) ابن حجر، **لسان الميزان**، ترجمة رقم (8268)، 8: 338 – 339.
(8) ابن حجر، **تهذيب التهذيب**، ترجمة رقم (65)، 10: 39 – 41.

هذا من جهة السند، أما من حيث المتن، فإن حجر بن عدي منذ أن آلت الخلافة إلى معاوية وهو يذمه ويحرّض عليه، وكان عامل معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة – رضي الله عنه – يصبر عليه ويتجاوز عنه، ويقول له: "**يا حجر ويحك! اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضبة السلطان مما يُهلك أمثالك كثيراً**[1]". ولما قدم زياد بن أبيه والياً على الكوفة، دعا بحجر ، فقال له: "**يا هذا كنا على ما علمت، وقد جاء أمر غير ذلك. أمسك عليك لسانك، وليسعك منزلك، وهذا سريري فهو مجلسك، وحوائجك مقضية لدي، فاكفني نفسك، فإني أعرف عجلتك. فأنشدك الله يا أبا عبدالرحمن في نفسك، وإياك وهذه السَّفِلة أن يستنزلوك عن رأيك. فإنك لو هُنت علي واستخففت بحقك؛ لم أخصك بهذا من نفسي**[2]". وعلى الرغم من تحذير الولاة له، إلا أن حجراً بقي على عناده، سادراً في غيبه، ساعياً إلى حتفه بظلفه، يظهر لعن معاوية، ويجمع العوام حوله، ويتطاول على الولاة في بيوت الله فيحصبهم هو ومن معه بالحصى، فكتب زياد إلى معاوية بأمره، فأمره أن يُسيّره وأصحابه إليه، ثم قتله وبعض من معه بعد أن استشار في أمره واستخار ربه، وذلك في خبر يطول شرحه ولا تحتمل هذه الدراسة ذكره[3].

وكتب خليل عبدالكريم في موضع آخر على هامش مقتل حجر: "**ولما بلغ الربيع بن زياد الحارثي وكان عاملاً لمعاوية على خراسان قتل حجر دعا الله عز وجل وقال: اللهم إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجّل، فلم يبرح من مجلسه حتى مات**[4]". ثم أردف فقال: "**والربيع هذا له صحبة وشارك في الفتوحات، ولا شك أن وفاته جاءت نتيجة إصابته برعب طاغ خشية أن يكون مصيره كحجر بن عدي**[5]". لو قال خليل إن الربيع بن زياد – رضي الله عنه – مات كمداً على حجر لقبلناه على مضض، ولكن أن يقطع من دون شك أن وفاته كانت بسبب خوفه من أن يُلحقه معاوية بحجر، فهذا والله تفكير سخيف وتفسير سقيم. أما قوله إن الربيع دعا على نفسه لما بلغه مقتل حجر، فهذا الخبر نجده بالفعل عند ابن الأثير في (أسد الغابة)، وهو مما يُؤخذ على ابن الأثير؛ لأن الربيع بن زياد توفي في سنة 53هـ/673م، وحجر بن عدي قُتل في سنة 51هـ/671م، فهل احتاج الخبر إلى سنتين حتى يصل إلى الربيع في خراسان؟! أما ما هو أغرب من الخبر أعلاه أن يتقبل عقل خليل مثل هذه القصة، وهو المفكر الذي عوّدنا ألا يؤمن إلا بما هو محسوس ملموس، ولكن لا بأس في أن يتجرعها حتى لو لم يستسغها مادام أنها تسيء إلى معاوية وتطعن فيه!

الخاتمة:

الحمد لله الذي منَّ علينا بإتمام ما قصدناه، وصلاةً وسلاماً على من ترك المسلمين على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وبعد،،،

فقد توصلت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، وتلك خلاصتها:

- كان ولازال التاريخ الإسلامي – دون غيره من التواريخ – عرضة لحملات متوالية وهجمات مغرضة، من الداخل والخارج، لتزييف حوادثه، وتشويه أعلامه؛ بغية قطع الجسور بين الماضي والحاضر، وهدم القدوة التي ينبغي للنشء أن يتأسى بها

(1) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 936.
(2) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله (ت 654هـ/1256م)، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي (دمشق: دار الرسالة العالمية، 1434هـ/2013م)، 7: 224.
(3) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، 936 – 946.
(4) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 89.
(5) عبدالكريم، **شدو الربابة**، 2: 89.

ويرتقي إليها. ولا شك في أن الطعن في التاريخ وقلب رموزه؛ ابتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومروراً بأصحابه رضوان الله عليهم، هو الباب الذي سيفضي بالمسلم حتماً إلى التشكيك في عقيدته، وتلك غاية من تسلّطوا على التاريخ الإسلامي من أعداء الدين.

- أُبتلي المسلمون بطائفة من المنتسبين إلى الإسلام اسماً، والمناهضين له رسماً، ممن جنّدوا أنفسهم للتجريح في التاريخ الإسلامي والتشنيع عليه؛ منتهزين جو الحريات العام، والانفتاح التقني اللامحدود، وسكوت الحكومات وإهمالها، وقعود علماء الدين وأهل التاريخ عن التصدي لمزاعمهم وأكاذيبهم. والملاحظ على أدعياء علم التاريخ هؤلاء أنهم يفتقدون المنهجية التاريخية؛ لذا تجدهم ينتخبون من ركام الروايات الهائل ما يخدم أهدافهم ويطابق أغراضهم الرامية إلى تصديق المزاعم والأفكار التي يعتقدونها سلفاً ويؤمنون بها مسبقاً.
- يعد المحامي خليل عبدالكريم أحد أولئك الأدعياء الذين سخّروا أقلامهم لمحاربة الدين وتزوير التاريخ؛ بحجة المقاومة الفكرية للجماعات الإرهابية التي عظمت شوكتها في الربع الأخير من القرن الميلادي المنصرم، وضرورة إعادة النظر في التراث الإسلامي المكتوب الذي تستند إليه تلك الجماعات الغالية – كما يُزعم – في بناء فكرها وتبرير مسلكها. ومما يُؤسف له أن هذا العبث التاريخي الذي لم يكن خليل عبدالكريم يجيد غيره قد لقي حفاوة وتقدير من قبل بعض وسائل الإعلام والنخب الفكرية بدعوى الحاجة الماسة إلى غربلة التاريخ وتمييز الغث من السمين، والصحيح من الضعيف.
- نظراً إلى عقيدته الاشتراكية التي عفا عليها الزمان؛ فقد أخذ خليل عبدالكريم يتتبع المحركات والدوافع الاقتصادية والاجتماعية لقراءة التاريخ الإسلامي، وإعادة كتابته وفق نظرية الصراع الطبقي والجدلي للاشتراكية، القائلة بالتفسير المادي لمجريات التاريخ، وهو ما يستدعي بالضرورة تهميش العوامل السياسية والدينية والأخلاقية. هذه النظرية العرجاء - التي لا ترى غير المادة محركاً للأفكار والسلوكيات – قد أوقعت خليلاً في أخطاء لا يأخذها التقدير فضلاً عن الإحصاء. ومما زاد الطين بلة، أن خليلاً لم يكن ضحية لنظرية قاصرة على فهم الصورة بالكامل، بل كان ضحية تعصبه المقيت على الإسلام وبغضه للعرب، وجهله بأسانيد الروايات وعللها، وهذا ما دفعه إلى انتقاء ما يعضّد أفكاره ويوافق أغراضه.
- التزاماً بالنهج الاشتراكي الذي نشأ عليه المؤلف وتربى عليه؛ فقد وضع خليل عبدالكريم كتابه (شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة) في ثلاثة أجزاء؛ بقصد تفريغ السيرة النبوية الشريفة وحياة الصحابة رضوان الله عليهم من محتواها الديني والأخلاقي؛ راداً كل ما يخرج عنهم من فعل أو قول إلى عوامل اقتصادية واجتماعية. فالدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ينطوي عليه من وعد المؤمنين بالتمكين في الأرض والجنة في السماء، لم يكن إلا وسيلة لجمع العرب حوله حتى يقيم بهم دولة قريش التي كان أسلافه يحلمون بها ويخططون لها. وأما الصحابة، فإنهم بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم وفتحهم البلاد سرعان ما مالت بهم الدنيا، وساروا خلف شهواتهم، فانكبوا على جمع الأموال، والتسري ببنات العجم.
- استغل خليل عبدالكريم بغض الشيعة لبني أمية، وانسياق بعض أهل السنّة وراءهم، فأخذ يظهر محبته لآل البيت، ويستبشع ظلم علي بن أبي طالب، ويرمي بني أمية قاطبة وعلى رأسهم عثمان بن عفان، بسهامه المسمومة – تماماً كما فعل ويفعل الشعوبيون من الفرس –، لا حباً في الإسلام، ولا خوفاً على بني طالب، وإنما ليصّب ما في جوفه من حقد أسود على الصحابة عامة، وبني أمية خاصة. وكما جاء معنا؛ فقد طفق يغرف من كتب المؤرخين الشيعة، كاليعقوبي والمسعودي،

ويأخذ بروايات أبي مخنف والواقدي والكلبي وغيرهم من المتروكين عند العلماء، ويسلط الضوء على ما اشتهر من الروايات الضعيفة سنداً والمضطربة متنا.

وفي ختام هذه الدراسة، نوصي بما يلي:

- أن يلزم القارئ جانب الحيطة والحذر عند قراءة كتب التاريخ المعاصرة، وبخاصة تلك التي صنّفها أشخاص عُرفوا بمعاداتهم للدين الحنيف وانتقاصهم لتاريخ الإسلام، فلا ينساق إلى ما فيها من أفكار وآراء ما لم يضع ذلك على ميزان العقل، ويرجع إلى أدلة النقل، ولو تطلب الأمر الرجوع إلى المصادر الأصيلة للاطمئنان إلى سلامة نقل المؤلف عنها، والتحقق من وجود روايات أخرى قد توافقها أو تخالفها.
- أن يدرك القارئ أن المصادر التاريخية – مهما ذاعت شهرتها وعلت مكانتها – ليست بمنأى من الوقوع في الزلل والخطأ. فمن المعلوم أن المؤرخين كانوا يسجلون ما يصل إلى أيديهم من روايات دون تمحيصها إلا ما ندر، ثم يأتي مؤرخون آخرون فينقلون عمن سبقهم من المؤرخين، وهذا ما يجعل كثير من الروايات الضعيفة والمنقطعة سنداً والمستنكرة متناً يُعاد تدويرها عبر الزمان وترسيخها في الأذهان.
- أن ينفض الباحثون – ممن رزقهم الله المعرفة بالتاريخ والغيرة على بيضة الدين – عنهم غبار الكسل، ويشمّروا عن ساعد الجد والاجتهاد؛ للتصدي إلى تلك الحملات الممنهجة من الداخل أو الخارج، لسلب تاريخ الأمة وتجريحه، إما بالرد عليهم بواسطة تأليف الكتب والمقالات، وإما بإقامة الندوات والمحاضرات، وإما بالدعوة إلى عقد المناظرات.

وختاماً، نسأل الله أن يكون عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وصدقةً جاريةً لكاتبه، فإن أصبنا فمن عند الله، وإن كان غير ذلك فمن أنفسنا، وما قصدنا إلا الحق، وذلك ما أدى إليه اجتهادنا، ونلتمس من القارئ تجاوز الزلة، وإقالة العثرة، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري (ت 630هـ/1233م). **أسد الغابة في معرفة الصحابة.** بيروت: دار ابن حزم، 1433هـ/2012م.
- ------. **الكامل في التاريخ**. حققه واعتنى به: عمر عبدالسلام تدمري. بيروت: دار الكتب العلمية، 2012م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874هـ/1470م). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم (ت 728هـ/1328م). **منهاج السنّة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية.** تحقيق: محمد رشاد سالم. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1406هـ/1986م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ/1200م). **الضعفاء والمتروكين.** تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1406هـ.

- ------. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.** تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا. ط 2. بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م.
- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت 852هـ/1448م). **الإصابة في تمييز الصحابة.** صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1433هـ/2012م.
- ------. **تهذيب التهذيب.** القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. 1414هـ/1993م.
- ------. **لسان الميزان.** تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، 1423هـ/2002م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت 456هـ/1064م). **الفصل في الملل والأهواء والنحل.** صححه وذيّله بهوامش مفيدة: عبدالرحمن خليفة. القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، 1347هـ.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم الحميري (ت 900هـ/1495م). **الروض المعطار في خبر الأقطار.** تحقيق: إحسان عباس. بيروت: مكتبة لبنان، 1974م.
- ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد الشيباني (ت 241هـ/855م). **مسند الإمام أحمد بن حنبل.** تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وعامر غضبان. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/1999م.
- ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808هـ/1406م). **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.** اعتنى به وراجعه: درويش الجويدي. صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، 1434هـ/2013م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ/1348م). **تاريخ الإسلام ومشاهير الوفيات والأعلام.** تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1424هـ/2003م.
- - - - - -. **سير أعلام النبلاء.** خرّج أحاديثه وقدّم له واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي. القاهرة: دار الحديث، 1427هـ/2006م.
- ------. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال.** تحقيق: علي محمد البجاوي. بيروت: دار المعرفة، 1382هـ/1963م.
- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبدالله (ت 654هـ/1256م). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان.** تحقيق: محمد أنس الخن وكامل محمد الخراط. دمشق: دار الرسالة العالمية، 1434هـ/2013م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230هـ/844م). **الطبقات الكبير.** تحقيق: علي محمد عمر. القاهرة: مكتبة الخانجي، 1421هـ/2001م.
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/1505م). **تاريخ الخلفاء.** ط 2. الدوحة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1434هـ/2013م.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبدالله (ت 764هـ/1363م). **الوافي بالوفيات.** تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ/2000م.

- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (ت 310هـ/923م). **تاريخ الأمم والملوك**. اعتنى به: أبو صهيب الكرمي. عمّان – الرياض: بيت الأفكار الدولية، د. ت.
- ------. **تفسير الطبري**. تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي. القاهرة: دار هجر، 1422هـ/2001م.
- ابن عدي، أبو أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني (ت 365هـ/976م). **الكامل في ضعفاء الرجال**. دمشق: دار الفكر، 1404هـ/1984م.
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله المعافري الأشبيلي (ت 543هـ/1148م). **العواصم من القواصم**. تحقيق: محب الدين الخطيب. ط 6. القاهرة: مكتبة السنّة، 1412ه.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/1176م). **تاريخ مدينة دمشق**. تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر العمروي. بيروت: دار الفكر، 1415هـ/1995م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي (ت 774هـ/1373م). **البداية والنهاية**. اعتنى به: حسّان عبدالمنان. عمّان – الرياض: بيت الأفكار الدولية، 2004م.
- الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت 350هـ/961م). **ولاة مصر**. تحقيق: حسين نصّار. بيروت: دار صادر، د.ت.
- مالك، أبو عبدالله بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري (ت 179هـ/795م). **الموطأ**. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1406هـ/1986م.
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت 261هـ/875م). **صحيح مسلم**. القاهرة: دار التأصيل، 1435هـ/2014م.
- ابن منظور، أبا الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ/1311م). **لسان العرب**. القاهرة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، د. ت.
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن محمد (ت 733هـ/1333م). **نهاية الأرب في فنون الأدب**. تحقيق: عبدالمجيد ترحيني. بيروت: دار الكتب العلمية، د. ت.
- ابن الوزير، عز الدين محمد بن إبراهيم (ت 840هـ/1436م). **الروض الباسم في الذّب عن سنّة أبي القاسم**. اعتنى به: علي بن محمد العمران. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، د.ت.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر (ت نحو 284هـ/897م). **تاريخ اليعقوبي**. ط 2. بيروت: دار صادر، 1431هـ/2010م.

ثانياً: المراجع:

- ابن بدران، عبدالقادر بن أحمد الدومي الدمشقي الحنبلي. **تهذيب تاريخ ابن عساكر**. دمشق: المكتبة العربية، 1351هـ.
- الريس، محمد ضياء الدين. **عبدالملك بن مروان والدولة الأموية**. ط 2. القاهرة: مطابع سجل العرب، 1969م.

- السبيعي، سعد بن ضيدان. **سل اللسان في الذب عن معاوية بن أبي سفيان.** ط 2. الرياض: دار العاصمة، 1436هـ/2015م.
- السلامي، شافية حداد. **نظرة العرب إلى الشعوب المغلوبة من الفتح إلى القرن الثالث هـ/ التاسع م.** بيروت – صفاقس: الانتشار العربي – دار محمد علي، 2009م.
- الصرايرة، سليمان سالم. مناقشة شروط الصلح بين الحسن بن علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات.** الكرك. مج 30. ع 5. 2015م.
- العامري، أسعد بن حمود بن خلفان. **الزندقة في المشرق الإسلامي: مفهومها، نشأتها، تطورها وأثرها (حتى منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي).** السيب: مكتبة الضامري، 1437هـ/2016م.
- عبدالكريم، خليل. **الأسس الفكرية لليسار الإسلامي.** القاهرة: حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي، 1995م.
- ------. **شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة: السفر الأول محمد والصحابة.** القاهرة: سينا للنشر، 1997م.
- ------. **قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية.** ط 2. القاهرة – بيروت: سينا للنشر – الانتشار العربي، 1997م.
- ------. **مجتمع يثرب: العلاقة بين الرجل والمرأة في العهدين النبوي والخليفي.** ط 2. القاهرة – بيروت: سينا للنشر – الانتشار العربي، 1997م.
- العش، يوسف. **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان.** ط 5. دمشق: دار الفكر، 1419هـ/1998م.
- عوض، إبراهيم. **اليسار الإسلامي وتطاولاته على الله والرسول الصحابة.** القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، 1420هـ/2000م.
- الماجدي، سيد عبدالماجد. **الميسر في علم مصطلح الحديث.** ط 2. دمشق: دار ابن كثير، 1439هـ/2018م.

جميع الحقوق محفوظة © 2023، الباحث/ خالد بن عبدالله السعيد، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي

(CC BY NC)

Doi: https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v5.53.6